جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

تجديد الخطاب الدعوي
(عوائقه- دوافعه - ضوابطه)

الأستاذ الدكتور

إبراهيم شعيب زيدان حماد

أستاذ الأديان والمذاهب المساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

تجديد الخطاب الدعوي (عوائقه- دوافعه - ضوابطه)

إبراهيم شعيب زيدان حماد

قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة القاهرة

الإيميل الجامعي: Ibrahim.Shoaib.133 @ azhar.edu.eg

ملخص البحث

إن تجديد الخطاب الدعوى ضرورة ملحة، يفرضها الدين نفسه ذلك؛ لأن الإسلام هو الدين الخاتم، كما يفرضها الواقع الدعوي المتسع ولكن تجديد الخطاب الدعوي تعترضه جملة من العوائق تحول بينه وبين أن يتبوأ مكانته اللائقة به، وهذه العوائق منها عوائق تتعلق بفهم الوحي قرآنا وسنة والعلوم الخادمة لهما.

ومنها عوائق متعلقة بالواقع الدعوي ومن أهمهما التصور الجزئي للواقع الدعوي، واستصحاب العلل الثقافية التي كانت سائدة في عصور مضت.

وأما عن دوافع تجديد الخطاب الدعوي فهي كثيرة جدًا منها إعمال العقل، والتطور المستمر للحياة، وتعدد وتجدد الحاجات التي يحتاجها الإنسان، إلى غير ذلك من الدوافع.

وأما عن ضوابط تجديد الخطاب الدعوي فهو بيت القصيد من هذا البحث حتى تتم عملية التجديد في إطارها الصحيح، ومن ثم فإن اعتماد المرجعية الإسلامية في نصوصها المقدسة قرآنا وسنة هو قطب الرحى في عملية التجديد، فلا يتوهمن متوهم أن عملية التجديد من الممكن أن تتم بعيدا عن روح الإسلام ونوره، وأصول الإسلام وفروعه مفهوما في لغته العربية التي تنزل بها من عند المولى عز وجل في إطار من القواعد الأصولية المستقرة لأنها قواعد قطعية؛ فلا يمكن الخروج عليها بحال، ولا ننسى في هذا المقام أن نلقى باللائمة على الذين جعلوا القرآن عضين يؤمنون ببعضه وينكرون بعضه الآخر، ولذا

فلا بد من المرجعية الموضوعية مع اعتبار الواقع حتى تتنزل نصوص الوحي في منازلها الصحيحة؛ فلا يكون ثمة تنافر متوهم بين الوحي والواقع وبهذا تنهض عملية تجديد الخطاب الدعوي على أسس راسخة، وأصول قاطعة، ومعرفة واسعة ومن ثم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

الكلمات المفتاحية: تجديد، الخطاب الدعوي، (عوائقه- دوافعه - ضوابطه).

Renewing the Advocacy Discourse (Obstacles - Motives - Controls)

Ibrahim Shoaib Zidan Hammad

Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Call, Cairo University
Email: Ibrahim.Shoaib.133**@ azhar.edu.eg**

The renewal of the pleading discourse is an urgent necessity, imposed by religion itself. Because Islam is the final religion, as imposed by the expanding advocacy reality, but the renewal of advocacy discourse is hindered by a number of obstacles that prevent it from assuming its proper position, and these obstacles include obstacles related to understanding the revelation of the Qur'an and Sunnah and the sciences serving them.

Among them are obstacles related to the advocacy reality, the most important of which is the partial perception of the advocacy reality, and the companionship of cultural ills that were prevalent in past ages.

As for the motives for renewing the preaching discourse, they are very many, including the implementation of the mind, the continuous development of life, the multiplicity and renewal of the needs that man needs, and other motives.As for the motives for renewing the preaching discourse, they are very many, including the implementation of the mind, the continuous development of life, the multiplicity and renewal of the needs that man needs, and so on.

As for the controls for the renewal of the preaching discourse, it is the point of this research so that the renewal process takes place in its correct framework, and then the adoption of the Islamic reference in its sacred texts, the Qur'an and Sunnah, is the pivotal pole in the renewal process. The spirit and light of Islam, and the origins and branches of Islam are understood in its Arabic language, in which it was revealed from the Lord Almighty, within the framework of stable fundamental rules because they are

definitive rules; It is not possible to deviate from it in any case, and we do not forget in this regard to place the blame on those who made the Qur'an fragments, believing in some of it and denying the other.

Therefore, the objective reference must be taken, taking into account the reality, in order for the texts of revelation to be revealed in their correct places. There is no imaginary dissonance between revelation and `reality, and thus the process of renewing the preaching discourse rises on solid foundations, decisive principles, and extensive knowledge, and then bears fruit every time, with the permission of its Lord.

Keywords: Renewal, the Preaching Discourse (its Obstacles - its Motives - its Controls).

المُقَدِّمَة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي للفضل أرشد، وللخيرِ نشر ومهَّد، وعلى أصحابه، وأتباعه، ومن سار على دربهِ إلى يوم الموعد.

أما بعد،،،،

فإنَّ الدعوة إلي الله- تعالى- هي الرسالة العظمي التي يجب أن تحيا بها الأمة، وأن تقوم بها خير قيام؛ لأنَّ من حق الله علينا أن ندلَّ الناس عليه، وأن نرشدهم إليه، ولكن الذي يدقق النظر في واقع الدعوة الإسلامية، ويرجع البصر كرتين في أحوالها يجد أنَّ الخطاب الدعوي بحاجة ماسة وضرورية إلى عملية تجديد شامل في الوسائل والأساليب، والمفاهيم والمضامين، انطلاقًا من الثوابت، لا من المساس بها بدعوى التجديد، وعملية التجديد هذه لن تتم إلا بعد مدارسة الواقع الدعوى مدارسة مستوعبة من أجل التعرف على عوائق التجديد والعمل على إزالتها، ثمَّ بيان الضوابط الحاكمة التي تحكم عملية التجديد؛ حتى لا نقع في التبديد بدعوى التجديد، ثمَّ بيان الأهداف المرتجاة من تجديد الخطاب الدعوى؛ وصولًا إلى آفاق التجديد الرحبة التي تعمل على تقديم الإسلام إلى الناس تقديما يليق به كرسالة خاتمة تهدف إلى إنقاذ الإنسانية من الظلمات المدلهمة التي ترتكس فيها إلى الأذقان.

إنَّ غياب التجديد عن الخطاب الدعوي في ظلِ عالم سريع التغير أتاح الفرصة للانحراف الفكري، والتراجع المعرفي، الأمر الذي مثَّل سُوقًا رائجة لأرباب التزمُّت والتميع، والإفراط والتفريط، في أن يعبثوا بالخطاب الدعوي وأن

يصادروه لصالحهم في بعض الأحيان ممَّا عاد بالسلب على الدعوة الإسلامية نفسها، فرأينا صورًا من الانحرافات الفكريَّة تؤصِّل للتطرف والإرهاب تارة، وتؤصل للانفلات من ثوابت الشريعة تارة أخرى؛ ولذا فمن الضروري أن نواجه الانحرافات الفكرية بطريقة عملية تتمثل في إنهاضِ عملية التجديد التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، والعقل والنقل، والتزام الأصول والتجديد في الفروع، والتبشير في الدعوة والتيسير في الفتوى الخ...، **وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:**

- **مقدمة:** وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه.
- وتمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث (التجديد- الخطاب - الدعوى- العوائق – الدوافع – الضوابط).
- **المبحث الأوَّل: عوائق تجديد الخطاب الدعوي.**

(١) **المطلب الأول:** العوائق المتعلقة بفهم نصوص الوحي.

(٢) **المطلب الثاني:** العوائق المتعلقة بفقه الواقع الدعوى.

- **المبحث الثَّاني: تجديد الخطاب الدعوي بين الدوافع والضوابط.**

(١) **المطلب الأوَّل:** دوافع تجديد الخطاب الدعوى.

(٢) **المطلب الثاني:** ضوابط تجديد الخطاب الدعوي.

التَّمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولا: التجديد

في اللُّغة: مصدر للفعل جدَّدَ، وجدَّ الشيء يجدُ بالكسر، أي: صار جديدًا، وهو نقيضُ الخلِق، وجددتُ الشيء: أجَدَّهُ بالضمِ جدًا: قطعتُه. وثوبٌ جديدٌ، وهو في معنى مجدود، يرادُ به حين جدَّهُ الحائك أي: قطعهُ.(١)

وفي مختار الصحاح: تَجَدَّدَ الشيء: صار جديدًا و أجَدَّهُ، و جَدَّدَهُ، واسْتَجَدَّهُ أي: صيَّرهُ جديدًا، و الجَدِيدانِ: الليل والنهار.(٢)

وقيل: (جدَّدَ يُجدِّد، تجديدًا، فهو مُجدِّد، والمفعول مُجدَّد (للمتعدِّي)، ومنه جدَّد الأديبُ أي: جاء بالجديدِ، وأبدعَ وابتكرَ، وجدَّدوا انتخابَ الرَّئيس: أعادوه؟ جدّد الشُّربَ: استأنفهُ: خاطبتهُ مُجدَّدًا في القضيَّة: مرَّة أخرى، وجدَّدَ قُوَّاهُ: استردّها، وأعادَ حيويّته، وجدّد نشاطه.(٣)

وممَّا سبق يتضح أنَّ الأصل في كلمة التجديد في اللغة: هو القطع، يقالُ: جدَّ الثوب أي: قطعه، كأنَّ ناسجه قد قطعه الآن، والتجديدُ: جعل الشيء جديدًا بأن يعودَ إلى أصله الأوَّل حيثُ رسوخهُ، وأصالته، ورونقه، وبهاؤه، والجديدُ: هو

---

(١) **ينظر:** الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٤٥٤/٢)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين- بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) **ينظر:** مختار الصحاح: لأبي بكر محمد بن عبدالقادر الرازي (ص١١٩)، تحقيق: محمود خاطر، بدون ط، مكتبة لبنان – بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٣) **ينظر:** معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (٣٤٨/١)، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

الشيءُ الذي لا يبلى؛ ولذا يقالُ: لليلِ والنهار الجديدان؛ لأنهما لا يبليان، وما يعنينا من معاني التجديد: هو اعتماد خطاب دعوي يجمع بين الأصالة والمعاصرة فهو خطاب دعوي يرجع إلي النص ويستفيدُ من مستجدات العصر.

التجديد في الاصطلاح: إعمال العقل في فهم النصوص لمعرفة أحكام الله فيما استجد من معاملاتٍ، وعرض الإسلام في مبادئهِ، وأحكامهِ، بأسلوبٍ يتناسبُ مع العصرِ، وبلغةٍ تتمشَّى مع الواقعِ، وبطريقةٍ ترتبطُ ببيئةِ القارئ.(١)

وعُرِف بأنَّهُ: إعادة فهم الدين وفقًا لأصولِ ومراعاةٍ للواقعِ(٢)، وقيل التجديد: نزعة تأخذ بأساليبٍ جديدة في نواحي الحياة الفكرية والعملية.(٣)

وفي بيانِ معنى التجديد ما ذكره العلقمي (ت٩٦٩هـ): عند إيرادهِ حديثِ

---

(١) **ينظر:** عين المعبود شرح سنن أبي داوود: لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٤٣/١١)، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ، مقالات في التجديد: لمجموعة من المؤلفين (ص١٦)، تقديم د. أحمد الطيب، مقال بعنوان: التراث بين التجديد والتقليد والتبديد: لعبد الفتاح بركة (ص٤٧، ٤٨). بدون ط، دار القدس العربي ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

(٢) **ينظر:** الشيخ البقاعي ومنهاجه في بلاغة القرآنِ: د. محمود توفيق سعيد (٣٥/١)، ط١، مكتبة وهبة- القاهرة، بدون ت، التجديد في الفكر الإسلامي: د. أحمد حمدي زقزوق (ص٢١)، بدون ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون ت، وكيف نجدد رسالة الإسلام: لمحمد المكي الناصري (ص١٤٢)، بدون ط، مكتبة فضالة المحمدية- المغرب، ٢٠٠١م.

(٣) **ينظر:** ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي: لخالد عبد الله الشعيب (ص١٦)، بدون ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون ت، وكيف نفهم الإسلام: د. محمد الغزالي (ص١٨٧)، ط١١، نهضة مصر، بدون ت، مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد (ص١٥)، ط١، دار الدعوة- الكويت، ١٩٨٤م.

«إنَّ الله (ﷻ) يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»(١)، أنَّ التجديد: إحياء ما ندرسُ من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وأنَّ المجدد: إنَّما هو بغلبةِ الظن بقرائنِ أحواله والانتفاع بعلمه(٢)، وقال المناوي: "يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم قالوا: ولا يكون إلا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة(٣))، ويوضح الإمام الحافظ ابن حجر حقيقة المجدد بقوله: (إنَّه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوعٍ من أنواع الخير، ولا يلزم أنَّ جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلَّا أنْ يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنَّه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافهِ بجميعِ صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثمَّ أطلق أحمد أنَّهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأمَّا من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفًا بالصفات الجميلة، إلَّا أنَّه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفًا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا(٤)".

وأنت تري أن عملية التجديد قد أخذت حيزًا كبيرًا لدي علماء الإسلام؛ لأنَّ التجديد أمرٌ يفرضه طبيعة هذا الدين يقول شيخنا الدكتور حسن الشافعي:

---

(١) **الحديث:** أخرجه: أبو داود في سننه عن أبي هريرة (ﷺ)، كتاب(الملاحم)، باب (ما يذكر في قرن المائة)، (٣٤٩/٦)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩، وقال المحقق: "إسناده صحيح".

(٢) **ينظر:** فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين محمد المناوي (٢٨١/٢)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ١٣٥٦هـ.

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (٢٨١/٢-٢٨٢).

(٤) **ينظر:** فتح الباري شرح صحيح البخاري الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الشافعي(٢٩٥/١٣) دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

"التجديد الفكري والاجتهاد العقلي في نطاق الشريعة واجب العلماء والمصلحين، والتجديد بهذا المعنى ضرورة دينية شرعية، وحقيقة واقعية عملية"([1])، ذلك أنَّ دين الإسلام هو الدين الخاتم، وأن لا نبي بعد نبينا (ﷺ)، والنصوص تتناهى بمعنى أنَّها قابلة للعدِّ والإحصاء والحوادث لا تتناهى ولا سبيل لمواجهة هذه الحوادث إلا بعمليات تجديدية لا تتوقف يقوم عليها أهل الاجتهاد والمؤهلون.

ومما يجب ذكره في هذا السياق أن هناك فرقا بين الاجتهاد والتجديد، فالاجتهاد ميدانه الأحكام الشرعية، ومن شروطه الأعلمية في الفقه والعدالة؛ لأن الاجتهاد يتعلق بجغرافيا النصوص التي لا يؤذن لغير الفقيه الريان بفقه الشريعة الدخول إلى مرتقاها الصعب باعتبارها مزلة أقدام وأفهام لأن استنباط الأحكام من مصادرها من أصعب المهام.

أما التجديد فإنَّما يكون في النظم، وعالم الوقائع هي ميدانه الفسيح، ومنهاجيته محورها الخبرة والتجريب، وأهله هم أهل الاختصاص في كل فرع من العلوم الطبيعية والاجتماعية([2])، ومن الفروق المعتبرة بين الاجتهاد والتجديد أيضًا: أنَّها إذا كان الاجتهاد هو الاستنباط للأحكام الجديدة التي تجيب عن علامات الاستفهام التي تطرحها مستجدات الواقع المتغير دائمًا وأبدًا، فإنَّ التجديد هو الذي يجعل من مجموع الاجتهادات مشروعًا حضاريًّا يخرجُ الأمة من مأزق الجمود والتقليد، ويقلع بها نحو التقدم والنهوض والانعتاق([3])، ولا

---

(١) **ينظر:** قول في التجديد د. حسن الشافعي ص ١٦ مكتبة ذخائر الوراقين ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

(٢) **ينظر:** في الاجتهاد والتجديد: د. محمد كمال إمام (ص٧٧) وما بعدها ورقة بحثية ضمن مقالات في التجديد تصدير د أحمد الطيب، بدون ط، دار القدس العربي- القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(٣) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة د. محمد عمارة (ص٧٩)، ط٢، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

ينبغي أن يفهم أن الفروق بين الاجتهاد والتجديد تعني نفي الصلة بينهما، حيث إنَّ الصلة بينهما وطيدة فالاجتهاد هو الوسيلة الشرعية التي يواجه بها المجتهد النوازل بينما التجديد هو المسوّق للقضايا الاجتهادية في إطار مشروع فكري طامح لرفعة هذه الأمة، فكأنَّ الاجتهاد والتجديد ينتظمان في قياس منطقي من الشكل الأول يمثل فيه الاجتهاد المقدمات، ويمثل فيه التجديد النتيجة فلا غنى لأحدهما عن الآخر، ولأن كان هناك فرق بين الاجتهاد والتجديد فلا يوجد ما يمنع أن يكون المجتهد والمجدد شخصا واحدا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثانيًا: الخطاب: جاء في معجم مقاييس اللغة أنَّ الخاء، والطاء، والباء أصلان أحدهما: الكلام بين اثنين، يُقالُ: خاطبه يُخاطبهُ خطابًا، والخطبة من ذلك، **والآخر: اختلاف لونين، قال الفرَّاء: الخطبَّاء: الأتان التي لها خطٌ أسودُ على متنها**(١)، **وجاء في أساس البلاغة:** خاطبه أي: أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة(٢)، وفي القرآن الكريم ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ (ص: ٢٠)، وفصل الخطاب: بلاغة الكلام وجمعه: للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان، والمعنى: أنَّ داود (عليه السلام) أُوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلّم جاء بكلام فاصل بين الحقّ والباطل شأن كلام الأنبياء والحكماء(٣)، ومنه قوله- تعالى-: ﴿**لَا**

(١) **ينظر:** معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس (١٩٨/٢)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بدون ط، دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) **ينظر:** أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (٢٥٥/١)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م.

(٣) **ينظر:** التحرير والتنوير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٢٢٩/٢٣)، بدون ط، دار سحنون – تونس، ١٩٩٧م.

يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبأ: ٣٧) أي: لا يتكلم أحد يومئذ إلاَّ من أذِن له الله وجملة (لا يتكلمون) مؤكدة لجملة (لا يملكون منه خطابًا.(١)

ممَّا سبق يتضح أنَّ الخطاب: توجيه الكلام إلى الآخر ليفهمه، وهذه عملية معقدة تحتاج إلي مراعاة المستوى الثقافي، ومراعاة مقتضى الحال، وتهيئة البيئة الملائمة للاتصال الفعال.

ثالثا: الدعوي: جاء في لسان العرب: دَعَوْت فلانًا أي: صِحْت به واسْتَدْعَيْته، والدُّعاة: قومٌ يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم: داعٍ، ورجلٌ داعيَّة: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأُدخِلت الهاء فيه؛ للمبالغة والنبي (ﷺ) داعي الله- تعالى-، وكذلك المؤذن، وفي التهذيب المؤذن داعي الله، والنبي (ﷺ) داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته، قال الله (ﷻ) مخبرًا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولَّوا إلى قومهم منذرين: ﴿**يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾** (الأحقاف: ٣١).(٢)

وفي أساس البلاغة: دعوت فلانًا وبفلان ناديتهُ، وصحَّت به، وما بالدار داعٍ ولا مجيب، والنادبة تدعو الميت تندبه تقول: وازيداه، ودعاه إلى الوليمة، ودعاهُ إلى القتال ودعا الله له وعليه ودعا الله بالعافية والمغفرة، والنبي داعي الله، وهم دعاة الحق، ودُعاة الباطل والضلالة، وتداعوا للرحيلِ وما بالدار دعوي أي أحد يدعو.(٣)

وجاء في المعجم الوسيط: دعا بالشيء دعوًا، ودعوة، ودعاء، ودعوى: طلب إحضاره إليه، ويُقال: دعت ثيابه: أخلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها

---

(١) **ينظر:** المرجع السابق (٥١/٣٠).

(٢) **ينظر:** لسان العرب لابن منظور (١٢٨٦/٢).

(٣) **ينظر:** أساس البلاغة (١٨٩/١).

والطيب أنفه وجد ريحه فطلبه، وفلانًا صاح به وناداه ويقال: دعا الميت: ندبه وفلانًا استعان به ورغب إليه وابتهل ويقال: دعا الله: رجا منه الخير ولفلان طلب الخير له ودعا على فلان طلب له الشر.(١)

والخلاصة أن الدعوة: تعني طلب الشيء والحث عليه فإن كان شيئًا علميًّا حثه على اعتقاده، وإن كان شيئًا عمليًّا حثه على فعله، وقد وردت كلمة الدعوة في القرآن الكريم أربع مرات سأذكرها حسب ترتيب المصحف مبينًّا معناها حسب السياق الذي وردت فيه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة: ١٨٦)، فكلمة دعوة هنا: تعني الدعاء أي: أنَّ الله- تعالى- يجيبُ دعوة من دعاه أي: دعاء من دعاه، يقول ابن منظور: الدعاء لله على ثلاثة أوجه: فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، والضرب الثاني: مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك: اللهم اغفر لنا، والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالًا وولدًا، وإنَّما سُمي هذا جميعه دعاء؛ لأنَّ الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: يا الله يا رب يا رحمن، فلذلك سمي دعاء.(٢) وأنت تري أن الثناء على الله ضرب من أضرب الدعاء كما ثبت في السنة وإلي هذا المعنى ذهب إمام أهل السنة الإمام الماتريدي؛ حيث يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ (البقرة: ١٨٦) أي: أقبل توحيد الموحد. وكذلك قال ابن عباس (ﷺ) في قوله: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ (غافر: ٦٠)

(١) **ينظر:** المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وآخرون (٢٨٦/١)، تحقيق: مجمع اللغة العربية، بدون ط، دار الدعوة، بدون ت.

(٢) **ينظر:** لسان العرب لابن منظور (٢٥٧/١٤).

أي: وحدوني أغفر لكم، وقيل: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي**﴾ (البقرة: ١٨٦) على حقيقة الإجابة.([1])

وقال الزجاج في تفسيرِ قول الله- تعالى-: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ (الرعد: ١٤): أنَّها شهادة أن لا إله إلا الله، وجائز أن تكون- والله أعلم- دعوة الحق: أنه من دعا الله موحدًا استجيب له دعاؤه([2])، ويقول العلامة أبو السعود: "أي الدعوةُ الثابتة الواقعة في محلها المجابةُ عند وقوعِها، والإضافةُ للإيذان بملابستها للحق واختصاصِها به وكونِه بمعزل من شائبة البطلانِ والضَّياع والضلال كما يقال كلمةُ الحق، وقيل: له دعوةُ الله - سبحانه- أي: الدعوةُ اللائقة بحضرته"([3])، واللائق بحضرته- سبحانه- إثبات الكمالات لذاته المقدسة، ونفي النقائص عنها وجوهر ذلك: إفراده بالعبودية ذاتًا وأسماءً وصفات.

قال- تعالى-: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ (غافر: ٤٣) وفي توضيح معنى الدعوة في هذه الآية كما يقول الإمام الرازي (والمراد أن الأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان:

---

(١) **ينظر:** تأويلات أهل السنة الإمام: لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (٤٩/٢)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م.

(٢) **ينظر:** لسان العرب (٢٥٨/١٤).

(٣) **ينظر:** إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٤٩٠/٣)، بدون ط، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون ت.

(الأول): أن المعنى ما تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه؛ لأنه جمادات والجمادات لا تدعو أحدًا إلى عبادة نفسها وقوله: ﴿**فِي الْآخِرَةِ**﴾ يعني: أنه- تعالى- إذا قلبها حيواناً في الآخرة فإنها تتبرأ من هؤلاء العابدين.

والاحتمال الثاني: أن يكون قوله: ﴿**لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ**﴾ (غافر: ٤٣) معناه: ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، فسميت استجابة الدعوة بالدعوة إطلاقاً لاسم أحد المتضايقين على الآخر، كقوله: ﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ (الشورى: ٤٠).(١) ومما سبق يتضح أن كلمة الدعوة تعني في اللغة النداء والطلب دعا فلانا أي ناداه ولكنه نداء يرتجي معه المنادي بالكسر استجابة المنادي بالفتح وهذا النداء قد يكون نداء حق أو نداء باطل؛ ولذا فالدعاة دعاة حق ودعاة باطل، أو دعاة على أبواب جهنم كما ورد في الحديث(٢)، أما عن معني الدعوة في بيان القرآن، فتأتي بمعنى الدعاء كما

---

(١) **ينظر:** مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (٦٢/٢٧)، بدون ط، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) **الحديث:** رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، (١٤٧٥/٣) حديث رقم (١٨٤٧)، ونصه: "كان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

في موضع البقرة، وتأتي بمعني كلمة الحق أو نداء الحق كما في موضع الرعد، وتأتي بمعنى سرعة الاستجابة كما في موضع الروم، وتأتي بمعنى: الدعوة الباطلة التي لا رصيد لها من الحق في الدنيا والآخرة كما في موضع سورة غافر.

رابعا: مفهوم الدعوة الإسلامية:

ممَّا هو جدير بالذكر أنَّ الدعوة الإسلامية لها اعتباران عند تعريفها كالتالي:

الاعتبار الأول: الدعوة الإسلامية باعتبار المدعو إليه وهو دين الإسلام، وعليه فالدعوة الإسلاميَّة بهذا الاعتبار تعني: الإسلام نفسه، وقد عرف العلماء والدعاة الدعوة الإسلامية بهذا الاعتبار بتعريفاتٍ كثيرة ولكن أجمع وأمنع ما وقعت عليه من تعريفات هو: أنَّ الدعوة الإسلامية تعني: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إيَّاه، وتطبيقه في واقع الحياة(١) ويفهم من هذا التعريف أن الإسلام بما حوي من عقيد وشريعة وأخلاق لابد أن يُبلغ، ويُعلم، ويُطبق في واقع الحياة.

يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): "وربما وصف بالدعوة بعض الوعاظ الذين يرققون القلوب، ويذكرون بالخير، ويعينون على العبادة؛ وهذا وصف يصح على ضرب من التجوز، وربَّما منحت الدعوة أركانًا في برامج التعليم تطول أو تقصر وقد يسمى أولئك المتحدثون دعاة...أمَّا الإسلام فدائرته أوسع وأضخم إنَّه أجهزة دولة كاملة تشمل التعليم والتشريع، والقضاء، والجيش، والتوجيه الداخلي، والتمثيل الخارجي والهيمنة على كل نشاط مدني ليكون طاقة تتحرك بها دواليب الإسلام في أية ناحية(٢)"، فالإسلام يفرض على أتباعه

(١) **ينظر:** المدخل إلي علم الدعوة: لأبي الفتح محمد البيانوني (ص٧١)، ط٣، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

(٢) **ينظر:** الدعوة إلى الله في القرن الحالي: لمحمد الغزالي (ص ١٠)، بدون ط، دار الشروق، بدون ت.

تحرير وتغيير العالم، وأن الإسلام ليس دعوة إلى مجرد الاستسلام للمصير(١)، وبدون هذا التصور الشمولي لحقيقة الدعوة الإسلامية نكون قد خرجنا بالإسلام عن حقيقته التي نزل بها الوحي على قلب النبي الأمين (ﷺ) وسيكون ذلك سببا في ضياع هذه الأمة.

يقول الدكتور على عزت بيجوفيتش: "التفسير الديني المحض للإسلام الذي حصر الإسلام في دائرة رسالة دينية مهملًا ومنكرًا دوره في تنظيم وتغيير العالم الخارجي عامل إضعاف داخلي لقوة ومناعة الأمة الإسلامية وجعلها غنيمة سهلة للجيوش البربرية(٢)".

الاعتبار الثاني: الدعوة الإسلامية باعتبار طرائق التبليغ، والتعليم، والتطبيق، أو معرفة أركان الدعوة ومناهجها وأساليبها، ووسائلها وكل ما يمكن الداعية من توصيل رسالته للناس، فالدعوة الإسلامية بهذا الاعتبار تعني: مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه، وتطبيقه(٣).

إذن فما الذي يعنيه تجديد الخطاب الدعوي أي: الخطاب المنسوب إلى الدعوة الإسلامية المراد من تجديد الخطاب الدعوي هو العودة بالخطابِ الدعوي إلي أصله المُبرأ من أي تحجرٍ أو تسيبٍ، أو إفراط أو تفريط متشددين في الأصول ميسِّرين في الفروع جامعين بين أصالة النص وروح العصر، مطورين في الوسائل والأساليب بما يتناسب مع تطورات الواقع ومنجزاته الحضاريَّة، فالتجديد: هو مقاربة للأفكار، ولا تولد تلك من العدم واللاشئ، بل هي سياقات يتحكم فيها الزمان والمكان وتحكمها الثوابت في العقيدة والأحكام،

---

(١) **ينظر:** عوائق النهضة د. على عزت بيجوفيتش (ص٩)، ترجمة/ حسين عمر سباهيتش، ط١، جمعية قطر الخيرية- الدوحة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (ص٩).

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (ص١٩).

والإسلام كرسالة خاتمة للرسالات السماوية يدعو البشرية للانفكاك من القيود التي تعيق وتمنع حركتها نحو التقدم، ويهيب بالإنسان أن ينفتح على الآراء والأفكار المختلفة؛ ليكتشف الأفضل منها إذا ما احتاج إليها مع مراعاة مشروعيتها.(١) قال- تعالى-: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ (الزمر: ١٩)، وحتى تؤتي هذه المقاربة أكلها لابدَّ أن يكون القائم بالخطاب الدعوي جامعًا بين التقوى والعلم، هاضمًا للتراث ومدركا للواقع، متجردًا للدعوة بعيدًا عن التأدلج، والتأطر، والتحزُّب متوازنًا في عرضه بين البشارة والنذارة، وجامع ذلك كله الوسطية والاعتدال، ففي فهم النص لا تشدد ولا تميع، وفي تبليغه فلا قسوة ولا تسيب، وفي تطبيقه فلا تردد ولا تعنت، وبهذا نستطيع محاصرة الانحراف الفكري ودحره حتى تعم السكينة بيوتنا، والسلام بمجتمعاتنا.

خامسًا العائق: هو المانع، والشاغل، والعقبة، والحائل، والعوائق: منها طبيعي أي: جبلِّي، ومنها: معنوي، وعوائق الدهر: شواغله.(٢)

سادسًا الدافع: يقول ابن فارس: الدال، والفاء، والعين: أصل واحد مشهور، يدل على تنحيَّة الشيء، يقال دفعت الشيء أدفعه دفعًا(٣)، والدافع: الشاة أو النَّاقة التي تدفع اللبن في ضرعها قبيل النتاج، وعلى هذا فالدافع: هو الشعور الذي يدفع الإنسان لتحقيق هدفٍ ما.(٤)

---

(١) **ينظر:** مفاهيم التجديد والاجتهاد والإبداع (ص١٢٩).

(٢) **ينظر:** معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد (١٥٧٧/٢)، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٣) **ينظر:** معجم مقاييس اللغة (٢٨٨/٢).

(٤) **ينظر:** تاج العروس من جواهر القاموس (٥٥٥/٢٠).

سابعًا: الضابط: ضبط الشيء: حفظه بالحزمِ، وبابه: ضرب، ورجلٌ ضابط أي: حازم(١)، وفي الاصطلاح: يشيرُ إلى اتجاهين: **(الأول):** القاعدة بدون تفريق بينهما، فهما مترادفان، **(والثاني):** هو غير القاعدة، فمجال الضابط الفقهي أضيق من مجال القاعدة الفقهية، فهما متفقان في أنَّ كلًا منهما حكم كلي تندرج تحته فروع فقهية، إلَّا أنَّ الضابط يختص بباب فقهي واحد فقط، والقاعدة أوسع مجالًا، فهي تتعلق بعدة أبواب فقهيَّة، والضابط الفقهي: حكم شرعي عملي كلي يدخل تحته مسائل تختص ببابٍ واحدٍ.(٢)

(١) **ينظر:** مختار الصحاح (ص١٨٢).

(٢) **ينظر:** مختصر معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية (١٤/١)، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.

المبحث الأوَّل

عوائق تجديد الخطاب الدعوي

المطلب الأول
العوائق المتعلقة بفهم نصوص كلمة الوحي الإلهى

إنَّهُ مما تقرر عند أرباب التزكية أن خلوص النفس من أدرانها يكون بالتخلية قبل التحلية فلابد من تطهير النفس مما علق بها من الشوائب، وما عرض لها من العوائق والعلائق حتى يتسنى لها استقبال رسل الهداية وبراهين اليقين، وهكذا الخطاب الدعوي لا بُدَّ من الوقوف علي العوائق التي تعترض طريقه، والعمل على إزالتها أو تحجيمها حني ينطلق الخطاب الدعوي انطلاقته المرجوة فيرشدُ الحائر، ويهدي الضال، وبإنعام النظر في القرآن والسنة، وبنظرة خاطفة في ثنايا التراث الإسلامي تبين أن من العوائق التي تعترض طريق تجديد الخطاب الدعوي عوائق تتعلق بفهم نصوص الوحي والعلوم الخادمة له.

وهذه العوائق تتمثل في الأخذ بحرفية النصوص المؤسِّسة قرآنا وسنة، حيث ظهر في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي جماعات من المخلصين يتمسكون بحرفية النصوص، ويرون أن الأخذ بهذا المنهج هو العاصمُ من الزَّلل والحافظ من الخلل، وما دري هؤلاء أنهم بهذا يتهمون السلف بالزيغِ والإسلام بالتحجر والجمود، ولهذه الجماعات سلف هم أهل الظاهر أو ما يسمى بالظاهريَّة وأئمة هذا المذهب كانوا جبالًا في العلم والورع، ومع ذلك تعرضوا؛ لانتقادات كثيرة من جماهير العلماء وصل الأمر في بعضها إلي حد الإقصاء من الجماعة العلمية، يقول الجصاص: "ولا يعتد بخلاف من لا يعرف أصول الشريعة، ولم يرتض بطرق المقاييس ووجوه اجتهاد الرأي: كداود الأصبهاني، والكرابيسي،

وأضرابهما من السخفاء؛ لأنَّ هؤلاء إنَّما كتبوا شيئًا من الحديث، ولا معرفة لهم بوجوه النظر، ورد الفروع والحوادث إلى الأصول، فهم بمنزلة العامي الذي لا يعتد بخلافه، لجهلهِ ببناء الحوادث على أصولها من النصوص، وقد كان داود ينفي حجج العقول، ومشهور عنه أنَّهُ كان يقول: "بل على العقول"، وكان يقول: ليس في السماوات والأرض ولا في أنفسنا دلائل على الله- تعالى- وعلى توحيده، وزعم أنَّهُ إنَّما عرف الله (ﷻ) بالخبر، ولم يدر الجاهل أن الطريق إلى معرفة صحة خبر النبي (ﷺ)، والفرق بين خبره وخبر مسيلمة وسائر المتنبئين والعلم بكذبهم إنَّما هو العقل، والنظر في المعجزات، والأعلام والدلائل، التي لا يقدر عليها إلا الله (ﷻ)، فإنَّه لا يمكن لأحد أن يعرف النبي (ﷺ) قبل أن يعرف الله (ﷻ)(١)، وتتضح معالم هذا المنهج في:

(أ) الجمود على ظواهر تلك النصوص، واعتبار ذلك من علامات الاتباع المحمود، الذي يقابل الابتداع المذموم، والتوقف عن البحث الطويل عن الحكمة من التكليف ومقاصد التشريع وأولويَّات المطالب الدينية للأفراد وللأمة، وعن النظر في إمكان تغيير تلك الأولويات باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال(٢)، وهذا الصنف من الناس، وهذا اللون من التفكير يمثل عقبة كأداء في طريق تجديدِ الخطابِ الدعوي، فهم كما يقول الأستاذ الإمام محمد عبده (رحمه الله): "أضيق الناس عطنًا، وأحرج صدرًا من المقلدين وهي وإن أنكرت كثيرًا من البدع، ونحت عن الدين كثيرًا مما أضيف إليه وليس منه؛ فإنها ترى وجوب

(١) **ينظر:** الفصول في الأصول: لأحمد بن علي الرازي الجصاص(٢٩٦/٣) تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، ط١، وزارة الأوقاف- الكويت، ١٩٨٨م.

(٢) **ينظر:** تجديد الفكر الإسلامي إطار جديد ومداخل أساسية: د. أحمد كمال أبو المجد (ص٥)، بحث منشور في كتاب المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي عقد تحت عنوان التجديد في الفكر الإسلامي.

الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد والتقيد به، دون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين وإليها كانت الدعوة، ولأجلها مُنِحت النبوة فلم يكونوا للعلم أولياء، ولا للمدنية أحياء ".(١)

ويظهر من منهج هؤلاء أنهم يأخذون النص بعيدًا عن واقعه فتمضي حركة الواقع المتسارعة بعيدا عن النص، ويمعنون هم في عزل النصوص بدعوى التمسك بها وهذا بدوره يمثل أكبر خطر على قضية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.

(ب) التقصير في فقه السنن الإلهية حيث تضمن كلمة الوحي الشريف جملة من السنن الإلهية التي تحكم حركة الكون، وتحكم حركة الناس وهذه السنن الإلهية لا تحابي ولا تجامل، ولا تتغير ولا تتبدل قال- تعالي-: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب: ٦٢) وقال- تعالى-: ﴿**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ (فاطر: ٤٣) يقول الإمام الرازي في معنى هذه الآية: "المراد من سنة الأولين استمرارهم على الإنكار، واستكبارهم عن الإقرار، وسنة الله استئصالهم بإصرارهم، فكأنَّه قال: أنتم تريدون الإتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها، والتبديل تحويل، فما الحكمة في التكرار نقولُ بقوله: ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ (فاطر: ٤٣) حصل العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره وبقوله ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ (فاطر: ٤٣) حصل العلم بأنَّ العذاب مع أنَّه لا تبديل له بالثوابِ لا يتحول عن مستحقه إلى غيرهِ

(١) **ينظر**: الأعمال الكاملة: محمد عبده (٣/٣١٤)، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، القاهرة، ١٩٩٣م.

فيتمُ تهديد المسيء"([1]) إذا السنن الإلهية لا تحابي ولا تجامل، بل هي سارية على الجميع قال- تعالى-: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٧) يقول الأستاذ الإمام محمد عبده في معنى هذه الآية: "إنَّ إرشاد الله إيَّانا أنَّ له في خلقه سننًا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علمًا من العلوم المدونَّة؛ لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه فيجب على الأمة في مجموعها أنْ يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وبينها العلماء بالتفصيل، عملًا بإرشاده، كالتوحيد، وأصول الفقه، والعلم بسنن الله- تعالى- من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلَّنا على مأخذِه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسيرَ في الأرض؛ لأجلِ اجتلائها، ومعرفة حقيقتها، إنَّ لله في الأمم والأكوان سننًا لا تتبدل،وهى التي تسمى الشرائع، أو النواميس، أو القوانين، ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحدٌ لا يتغير ولا يتبدل، وعلى من يطلب السعادة في المجتمع أن ينظر في أصول النظام؛ حتى يرد إليه أعماله فإن غفل عن ذلك غافل، فلا ينتظر إلا الشقاء، وإن ارتفع في الصالحين نسبهُ، أو اتصل بالمقربين سببه، فمهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقرر، وأتى لنا بأحكام تلك السنن، فهو يجري مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه، ولا تنفر منه، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب في السببية والمسببيَّة إلَّا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله.([2])

---

(١) **ينظر:** مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (٣٢/٢٦)، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، : دار ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص٩٢، ٩٣).

وأنت ترى أن هذا الكلام على طوله يؤسس لعلم السنن الإلهية، وهو كلام من النفاسة بمكان إذ في كلام الفحول من العلماء ما يدل عليه يقول منشئ علم الاجتماع العلامة ابن خلدون مبيناً القيمَّة العلميَّة لمقدمته: "وشرحتُ فيه من أحوالِ العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتيَّة ما يُمتعك بعلل الكوائن وأسبابها، ويعرِّفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها؛ حتى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك".(١)

ولا يخفى أن العوارض الذاتية هي السنن الإلهية التي تحكم الكون وتتحكم فيه، أو القوانين التي يسير عليها المجتمع، يقول الدكتور على عبد الواحد وافي: "أما الظواهر الاجتماعية، فإنَّهُ لم يفطُن أحد من قبل ابن خلدون إلى جبريَّة حوادثها، وخضوعها لقوانين ثابتة مضطردة، كالقوانين التي تخضع لها ظواهر الطبيعة والرياضة، وبالتالي لم يعن من قبله بالكشف عن هذه القوانين.(٢) لقد مضى أكثر من قرن على دعوة الإمام محمد عبده علماء الأمة لاستنباط وتدوين علم السنن والاجتماع الديني، وفي ذلك القرن دَون الماركسيون علم الاجتماع الماركسي، والليبراليون علم الاجتماع الرأسمالي وبقيت أمنية الأستاذ الإمام تنتظر التحقيق.(٣)

ويبدو أن الوقت مازال مبكرًا على الاستجابة لصرخة الأستاذ الإمام؛ لأن المسلمين لم يعتنوا بعلم السنن الإلهية العناية الكافية، أو كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "ولم يقصر المصنفون من المتقدمين والمتأخرين في شيء من علم

---

(١) **ينظر:** مقدمة ابن خلدون: لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٢٨٥/١)، تحقيق: د. على عبد الواحد وافي، بدون ط، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (١٨٥/١)

(٣) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص٩٤).

الكتاب والسنة، كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله- تعالى- في الأمم، والجمع بين النصوص في ذلك، والحث على الاعتبار بها، ولو عنوا بذلك بعض عنايتهم بفروع الأحكام وقواعد الكلام؛ لأفادوا الأمة ما يحفظ به دينها ودنياها، وهو ما لا يغني عنه التوسع في دقائق مسائل النجاسة والطهارة، والسلم والإجارة، فإنَّ العلمَ بسنن الله تعالى في عباده، لا يعلوه إلا العلم بالله- تعالى- وصفاته، وأفعاله، بل هو منه أو من طرقه ووسائله".(١)

وقد نبه الإمام الغزالي (رحمه الله) إلي أهمية هذا العلم وأنه يأتي في المرتبة بعد العلم بالله -سبحانه- بل هو وسيله من وسائله، وطريق من طرقه قائلًا: "وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله- تعالى- وبصفاته، وأفعاله، وسنته في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإنَّ هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل بهِ إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنَّهُ البحر الذي لا يدرك غوره، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء، والأولياء، والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم، وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم".(٢)

وأنت ترى أن الإمام الغزالي قد فضل العلم بالسنن الإلهية على كثير من العلوم يقول الشيخ رشيد رضا: "لقد فضل الغزالي أهل هذا العلم أي: العلم بالسنن الإلهية -على جميع العلماء كالمتكلمين والفقهاء، وأيده في ذلك العز بن عبد السلام إذ استفتي فيه فأفتى بصحته، وبين الغزالي...،أنَّ هذا العلم هو الذي

(١) **ينظر:** تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد بن علي رضا (٤١٦/٧)، بدون ط، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) **ينظر:** إحياء علوم الدين: لبي حامد الغزالي (٣٩/١)، بدون ط، دار المعرفة – بيروت، بدون ت.

امتاز به عظماء الصحابة (ﷺ)، وأنه هو العلم الذي عناه عبد الله بن مسعود (ﷺ) لما مات عمر بن الخطاب (ﷺ) بقوله: مات تسعة أعشار العلم ورواه أبو خيثمة في كتاب العلم بلفظ: «إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم(١)»"(٢)، ويعلق الشيخ محمد الغزالي على هذا الأثر بقوله: "كان عمر (ﷺ) أبصر الناس بطبائع الشعوب، وأسباب ازدهارها، واندثارها، وكيف تبنى الدول، وتصان، وتنصر، وتؤدى رسالتها... وسياسته في المال والحكم أمارة وعى عميق بالإسلام وغاياته"(٣) ولم يكن هذا حال عمر بن الخطاب (ﷺ) فحسب بل كان جلُّ الصحابة (ﷺ) يشاركونه هذا الفهم العميق، والإدراك الدقيق، والتخطيط الوثيق؛ ولذلك عمل الصحابة (ﷺ) على تنفيذِ السياسة العمريَّة؛ لأنهم هم من أداروها معه فآتت أكلها كل حين بإذن ربها يقول الدكتور يحيى هاشم فرغل: "قد يغيب عن الكثيرين منا أن عبقرية التطبيق الإسلامي في الصدر الأول للرسالة لم تكن فقط، لأنَّ الله (ﷻ) قيَّض لهذا

(١) **الحديث:** رواه أبوخيثمة في كتاب العلم بلفظ: «قال عبد الله: إني لأحسب عمر قد رفع معه يوم مات تسعة أعشار العلم». **ينظر:** كتاب العلم: لأبي خثيمة: زهير بن حرب النسائي (ص١٨)، ط٢، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ورواه الطبراني في المعجم الكبير: بلفظ قال عبد الله: «إني لأحسب عمر قد رفع معه يوم مات تسعة أعشار العلم، وإني لأحسب علم عمر لو وضع في كفة الميزان، وعلم من بعده لرجح عليه علم عمر (ﷺ)»، باب فضائل ابن مسعود (١٦٣/٩) ورواه البيهقي في السنن (١٢٦/١)، بسنده عن الأعمش، عن شقيق قال: قال عبد الله: والله لو أن علم عمر (ﷺ) وضع في كفة ميزان ويجعل علم أحياء أهل الأرض في الكفة الأخرى لرجح علم عمر (ﷺ)، فذكر ذلك لإبراهيم فقال: قال عبد الله: «والله إني لأحسب عمر قد ذهب يعني يوم ذهب بتسعة أعشار العلم».

(٢) **ينظر:** تفسير المنار (٤١٦/٧).

(٣) **ينظر:** سر تأخر العرب والمسلمين الشيخ محمد الغزالي (ص ١٩)، بدون ط، دار نهضة مصر، بدون ت.

الصدر الأول وحيا يُنزل، ورسولا يتلقى ولكنه كان بعد ذلك ومع ذلك في أن قيض لهم، وفقًا لسننه في الحياة جيلًا ممتازًا من البشر قادرًا على صنع الصلة بين الشريعة المنزلة والواقع المعاش".(١)

إنَّ هذا الجانب من الفقه قد قصر فيه المسلمون تقصيرا بينا وأن تقصيرهم فيه كان من أسباب إخفاقهم في معركتهم الحضارية المعاصرة، إن فقهنا للحضارة أمر ضروري، والانسجام مع السنن الكونية والاجتماعية هو الطريق الوحيد للتقدم ولتجنب المنزلقات.(٢)

وهذا ما حدث بالفعل فإنَّ أوربا ما تقدمَّت، وما تقدمَّت أي حضارة إلَّا إذا تجاوزت مرحلة الجزئيات، ووصلت إلى مرحلة فهم الكليات والقوانين، والاستيعاب لها، واستقلالها، والانسجام معها(٣)، وكان التقصير في فقه السنن الإلهية سببًا أيضًا في تأخر الدعوة عن الوصول إلى أهدافها، فبسبب غفلة الدعاة عن الإفادة من السنن الربانية الثابتة في حياة الدعوات، أو ضعف تعاملهم معها مما أوقع كثيرًا منهم في الاستعجال والتخبط، أو اليأس والقنوط ممَّا أثر في الدعوة وحركتها، وأخرها عن الوصول إلى أهدافها.(٤)

إنَّ فقه السنن الإلهية يضع أيدينا على مواطن القوة فنعظمها، وعلى مواطن الضعف فنتجنبها إنَّه معيار التقدم والتأخر، والرفعة والانحطاط، والسيادة والتبعية.

---

(١) **ينظر:** الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة: د. يحيى هاشم حسن فرغل (ص٣٠٧)، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢) **ينظر:** تفسير التاريخ علم إسلامي د. عبدالحليم عويس (ص ٦)، بدون ط، دار الصحوة- القاهرة، بدون ت.

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (ص٦).

(٤) **ينظر:** المدخل إلى علم الدعوة (ص ٣٥٥).

(ج) الإفراط في تقديس التراث دون التفرقة بين الأصول والفروع، وبين المجمع عليه الذي لا يجوز تجاوزه وبين الآراء الفردية التي تقبل الأخذ والرد، يقول الدكتور أحمد الطيب: "وفي المقابل تسمع أصواتًا تنبعث من العدوة القصوى لا تفهم من تجديد الخطاب الديني إلا العودة فقط إلى ما كان عليه سالف الأمة وصالح المؤمنين في القرون الثلاثة الأولي وهؤلاء، يريدون أن يجمدوا برسالة الإسلام عند حدود التعبد بمذهب واحد، واعتقاد معين، وأشكال ورسوم يرونها الدين الذي لادين غيره، وهؤلاء يهددون سماحة هذا الدين الحنيف وشريعته التي تأسست على التعددية، واختلاف الرأي في حرية لا نعرف لها نظيرًا في الشرائع الأخرى".(١) إن عدم التفرقة العملية بين الثابت الذي لا يقبل التغيير أو التبديل أو التأويل في الشريعة، وبيَّن المتغير الذي أودعه الله في الشريعة لتكون صالحة لكل زمان ومكان يعد عائقًا كبيرًا من عوائق التجديد ذلك أن شريعة الإسلام شريعة ربانيَّة نزلت؛ لإسعاد الناس في الدنيا ونجاتهم في الآخرة فإذا ما داهمتنا فهوم نحت بالشريعة نحو الإفراط والتفريط، فهذه الأفهام وتلك الآراء مردودة على أصحابها؛ لأنَّ الجمود يفضي إلى تقييد التعاليم الإسلامية في حدود تطبيقات زمن معين، وبيئة معينة، جمودًا عن ظواهر بعض النصوص أو التطبيقات الزمنية، مع أن أسس التعاليم الإسلامية واسعة على قدر اتساع قضايا الحياة ومشكلاتها، وهي صالحة لكل زمن وبيئة، وملائمة للفطرة الإنسانية.(٢)

(١) **ينظر:** مقالات في التجديد د. أحمد الطيب (ص٨، ٩).

(٢) **ينظر:** صراع مع الملاحدة حتى العظم: لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ص٥٦)، ط٥، دار القلم- دمشق ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.

وقد بيَّن الأستاذ الإمام محمد عبده أوجه جناية الجمود على التراث على مسيرة الدعوة الإسلامية فيقول ما ملخصه كان الدين هو الذي انطلق بالعلم فلما توقف الدين توقف العلم بالتدريج وجنى هذا الجمود على العلوم والفنون التالية:

- اللغة العربية وأساليبها وآدابها فبعد أن كانت تدرس؛ ليستعان بها في فهم كتاب الله وسنة رسوله تغير الحال، فجعلوا دروس اللغة لفهم عبارة المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وإن لم يصلوا منها إلى غاية في فهم ما وراءها.

- النظام الاجتماعي ففرق بين الأمة ومزق نظامها فاختلف الجامدون في الفتيا وفي العقائد وتعصبوا لمذاهبهم.

- الشريعة وأهلها، فالشريعة أيام كان الإسلام إسلامًا كانت سمحة ووسعت العالم بأسره وهي اليوم تضيق على أهلها؛ حتى اضطروا أن يتناولوا غيرها، واختصم حملتها إلى غيرها، وأصبح العاملون بالشريعة قليلًا، وخالف الناس الشريعة وسقط احترامها من نفوسهم، وذلك كله بسب الجمود الذي أدى إلى الجهل بها.

- العقيدة فقال الجامدون لابُدَّ من اتباع مذهب خاص في العقيدة، وافترقوا فرقًا وتمزقوا شيعًا وليس هذا فحسب، بل ذهب بعضهم إلى أنه لابد من الأخذ بدلائل خاصة للوصول إلى معتقد ما، فيكون التقليد في الدليل، كالتقليد في المدلول فجعلوا النقل عمادًا لكل اعتقاد، وليس النقل عن المعصوم بل النقل ولو عن غير معروف(١).

ومما يجب أن يكون معلوما لدى الكافة أننا لا نعنى بذكر هذه السلبيات إعلان القطيعة مع التراث؛ لأن التجديد لا يعني عزل النصوص عن ولايتها

(١) **ينظر:** الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية الإمام محمد عبده (ص١٠٨) وما بعدها بتصرف كبير، بدون ط، محمد على صبيح ١٩٥٤م.

الشرعية، ولا تنصيب العقل وصيًا عليها، له حرية القبول والرفض، ولن يسترد العقل هيبته بالاجتراء على النص، بل يستردها باستعادة مهامه في الفهم الصائب، والإدراك الصحيح، من خلال لغة النص، ومصدر النص، ومقاصد النص التي هي غايات ومآلات.(١)

إن أئمة هذا التيار الذي يقدسون التراث ويجمدون على ظواهر نصوصه هؤلاء الأصدقاء الجهال يشكِّلون كارثة بالنسبة للإسلام فهم من ناحية لا يفهمون، وبدلا من أن يستروا جهلهم يقومون بإعلانه على الملأ، وليتهم يكتفون بذلك ولكنهم يعلنون أن ما يقولونه هو الإسلام!!!!(٢)، إن هؤلاء هم سبب بلاء الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بما يصدر عنهم من فتاوي تسيء إلي الدين أبلغ إساءة، وما يشهده عالمنا المعاصر من اتهامات للإسلام بالإرهاب والدموية، وعداء العلم وكراهية التقدم العلمي يرجع إلي هؤلاء ولا خلاص للأمة الإسلامية من تخلفها إلا باستقلال الفكر وحرية البحث والاجتهاد.(٣) وأنت ترى هذه الثمار المرة التي وصلت إليها الأمة على يد هؤلاء هي على النقيض تمامًا مع مقاصد الشرع الحنيف يقول العلامة ابن قيم الجوزية (رحمه الله) الشريعة مبنية على مصالح العباد وهذا فصل عظيم النفع جدًا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن

(١) **ينظر:** مقالات في التجديد (ص٧٣).

(٢) **ينظر:** المسلمون في مفترق الطرق: د. محمود حمدي زقزوق (ص٣٩)، ط٢، مطبعة الحكماء، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (ص٤١).

العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"(١).

إن فقدان الوعي في التعامل مع التراث الذي هو جهد العلماء عبر أجيالهم المتعاقبة في فهم الوحي أمر ذمَّه السلف قيل لبعضهم: أي: كتبك أحب إليك؟ قال: ما أتبصره علما وأتصوره فهما، وقيل: لآخر، فقال: ما أفيد منه وأستفيد وقيل لآخر، فقال: ما أعلم وبه أعمل ، وقيل: لبعض الحكماء: إن فلانًا جمع كتبًا كثيرة، فقال: هل فهمه على قدر كتبه؟ قيل: لا ، قال: فما صنع شيئًا، ما تصنع البهيمة بالعلم، وقال رجل لرجل: كتب ولا يعلم شيئًا مما كتب: ما لك من كتبك إلا فضل تعبك، وطول أرقك، وتسويد ورقك، قلت: وهذه حال من اقتصر على النقل إلى كتابه من غير إنعام النظر فيه، والتفكير في معانيه(٢)" إذا كان هذا حال الذاهل في التعامل مع التراث فما الظن بمن يقدسه؟!

إن تقديس التراث الذي هو ثمرة عمل العقل في النص تقديسًا مبالغًا فيه مضرة محققة تهدد سماحة الإسلام، وقد نبَّه إلي هذه المضرَّة الإمام القرافي بقوله: "والجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين"(٣)، وكأنَّ الإمام القرافي (رحمه الله) كان ينظر من

---

(١) **ينظر:** إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (١١/٣) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٢) **ينظر:** الفقيه والمتفقه: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الخطيب البغدادي(٣٣٤/٢، ٣٣٥)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، ط٢، دار ابن الجوزي- السعودية، ١٤٢١هـ.

(٣) **ينظر:** أنوار البروق في أنواء الفروق: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (١٧٧/١)، بدون ط، عالم الكتب- بدون ت.

سجف الغيب فسبب هذا الجمود على التراث، وعدم التفرقة بين الأصول المتفق عليها وبين الفروع نُحيت الشريعة عن قيادة الحياة تأمل في هذه القصة التي ذكرها الشيخ الكبير محمد رشيد رضا قال: إنَّ الخديوي إسماعيل استدعى رفاعة الطهطاوي وخاطبه: "يا رفاعة أنت أزهري تعلمت في الأزهر وتربيت به، وأنت أعرف الناس بعلمائه، وأقدرهم على إقناعهم بما ندبناك له، إنَّ الفرنجة قد صارت لهم حقوق ومعاملات كثيرة في هذه البلاد، وتحدث بينهم وبين الأهالي قضايا، وقد شكا الكثيرون إلىّ أنهم لا يعلمون أيحكم لهم أم عليهم في هذه القضايا؟ ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم؛ لأن كتب الفقه التي يحكم بها علماؤنا معقدة وكثيرة الخلاف، فاطلب من علماء الأزهر أن يضعوا كتابًا في الأحكام المدنية الشرعية تشبه كتب القانون في تفصيل المواد واطراح الخلاف، حتى لا تضطرب أحكام القضاة، فإن لم يفعلوا وجدتني مضطراً للعمل بقانون نابليون الفرنسي!!.

قال رفاعة الطهطاوي مُجيبًا الخديوي: يا أفندينا: إني سافرت إلى أوربا، وتعلمت فيها، وخدمت الحكومة، وترجمت كثيرًا من الكتب الفرنسية، وقد شخت، وبلغت إلى هذه السن، ولم يطعن في ديني أحد، فإذا اقترحت الآن هذا الاقتراح بأمر منكم طعن علماء الأزهر في ديني، وأخشى أن يقولوا: إن الشيخ رفاعة ارتدَّ عن الإسلام آخر عمره؛ إذ يريد تغيير كتب الشريعة وجعلها مثل كتب القوانين الوضعية. فأرجو أن يعفيني أفندينا من تعريض نفسي لهذا الاتهام؛ لئلا يقال: مات كافرًا. فلما يئس الخديوي أمر بالعمل بالقوانين الفرنسية(١)، ويعلق الشيخ الغزالي على هذه القصة بقوله: "ولقد كنت أسأل نفسي: نحن نكافح

(١) **ينظر:** قذائف الحق: لمحمد الغزالي (ص ١٣٦، ١٣٧)، بدون ط، المكتبة العصرية- بيروت، بدون ت.

هذه القوانين المستوردة من الخارج وما تتضمنه من فساد وإلحاد، فكيف دخلت بلادنا، وماذا كان موقف العلماء منها يوم جاءت، ولِم لمَ يموتوا دون تحكيمها في مجتمعنا؟ ثم علمت أن موتنا الأدبي هو الذي مهد لقبولها واستقرارها".(١)

وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إن فروعًا فقهية جري الخلاف حولها بين فقهاء المذاهب وجدناها قد سيطرت على الساحة الدعوية، وقُدمت للناس على إنها من معاقد الإيمان، وهذا الأمر كانت له آثاره السلبيَّة المُدمرَّة على الواقع الدعوي، يقول شيخنا الدكتور حسن الشافعي: وأسوأ ما يقيد حركتنا في هذا الصدد أننا في مواجهتنا مع الواقع نُشغَل – لأسباب كثيرة – بالمشكلاتِ الزائفة لا بالمشكلات الحقيقية، وانظر إلى أكثر المعروض في الإعلام عن الختان، والجان، والسواك، واللِّحى، والتكفير، والتنوير، ونحو ذلك من القضايا المفتعلة، والمشكلات الزائفة التي ندور في رحاها دون تناول جيد للمشكلاتِ الحقيقية كلها، التنمية الحضاريَّة الشاملة، وقضايا العدالة الاجتماعية، ومسائل الفن والثقافة، من منظور الأصالة والمعاصرة الذي هو واجب المفكرين المسلمين نحو وطنهم، ونحو أمتهم إن كانوا حقًا جادين في سلوك النهضة والتجديد(٢)، وأسوأ من شغل العقل الجمعي للأمة بقضايا لا تسمن ولا تغني من جوع مع إلباسها ثوب القداسة، فقد وجدنا القداسة قد أسبغت أيضًا على بعض الشيوخ فكلامهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد نبه الإمام الشاطبي إلى هذا المنزلَق الذي أصاب الخطاب الدعوي بالتحجرِ والجمودِ، ومن ثمَّ الانزواء، يقول الشاطبي: "ومنها: رأي قوم تغالوا في تعظيم شيوخهم، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه فالمقتصد فيهم يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان، وربما أغلقوا

(١) **ينظر:** المرجع السابق (ص ١٣٧).

(٢) **ينظر:** قول في التجديد: د. حسن الشافعي، ط٤، الحكماء، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

باب الولاية دون سائر الأمة إلا هذا المذكور، وهو باطل محض، وبدعة فاحشة؛ لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون أبدًا مبالغ المتقدمين، فخير القرون القرن الذين رأوا رسول الله (ﷺ) وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وهكذا يكون الأمر أبدا إلى قيام الساعة".([1])

(د) إساءة الظن بكل مذهب أو رأي أو اجتهاد يدعو إلي استخدام العقل والتعويل عليه في استنباط الأحكام الفقهية وتقرير الأمور الدينية، واعتبار هذا الاستخدام؛ تهديدًا لقدسية الشريعة ومدخلًا لتحكيم الهوى وتمرد على حكم الله الذي تقرر في قوله- تعالي-([2]): ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾ (الأحزاب: ٣٦) إنَّ الإمام العز بن عبد السلام قد بين خطورة الجمود على ظواهر النصوص حيث تظهر في تغييب العقل، وتنحيته عن فهم النصوص، فتصبح النصوص حينئذ متعارضة، ومتعاندة يُضرب بعضها ببعض، وتنزه وحي الله تعالى أن يكون كذلك. يقول الإمام العز بن عبد السلام (رحمه الله): في معرض رده على المشبهة القائلين بالحرف والصوت، وأما قوله (ﷻ): ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾ (الواقعة: ٧٧، ٧٨)، فلا خلاف بين أئمة العربية أنهُ لابد من كلمة محذوفة يتعلق بها قوله: ﴿**فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾، ويجب القطع بأنَّ المحذوف تقديره: مكتوب في كتاب مكنون، لمَا ذكرناه، وما دلَّ عليه العقل الشاهد بالوحدانية وبصحة الرسالة، وهو مناط التكليف بإجماع المسلمين، وإنَّما لم يُستدلَّ بالعقل على القِدم وكفى به شاهدًا؛ لأنَّهم لا يسمعون شهادته مع أن الشرع قد عدَّل العقل، وقبل شهادته واستدلَّ به

(١) **ينظر:** الاعْتِصَام إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (٢/٩٠)، ط١، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرين، دار ابن الجوزي- السعودية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) **ينظر:** تجديد الفكر الإسلامي إطار جديد ومداخل أساسية (ص٧).

في مواضع من كتابه، كالاستدلال بالإنشاء على الإعادة، وكقوله- تعالى-: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وقوله - تعالى-:﴿**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ (المؤمنون: ٩١)، وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ (الأعراف: ١٨٥) فيا خيبة من ردَّ شاهدًا قبله الله وأسقط دليلًا نصه الله.(١)

هذا من ناحية ومن ناحية أخري فإننا في الظروف الأخيرة - ننزع- أو ينزع البعض منا إلى التشكك في كل ما يصلنا من الغير ونزورٌ عنه ومن شواهد ذلك نقص الترجمة عن اللغات الأجنبية، حتى فيما يتصل بتراثنا وعلومنا مع أن الاحتكاك بالآخر والاتصال بالغير، والانفتاح على تجارب الأمم في الماضي والحاضر، هو طابع حضارتنا، وسمة ثقافتنا في عصور ازدهارها وقوتها يوم كانت هي ثقافة العالم وحضارته السائدة(٢)، وبهذا نحرم أنفسنا من الاستفادة من الحكمة التي عند الآخرين معرضين عن الهدي النبوي في هذا الصدد فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها».(٣)

---

(١) **ينظر:** الملحة في اعتقاد أهل الحق: العز بن عبدالسلام (ص٢١، ٢٢)، تحقيق: إياد خالد الطباع، ط١، دار الفكر المعاصر- بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٥م .

(٢) **ينظر:** قول في التجديد د. حسن الشافعي (ص٤١، ٤٢)، ط٤، دار القدس العربي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

(٣) **الحديث:** أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة (٥١/٥) حديث رقم (٢٦٨٧) قال: "أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه و إبراهيم بن الفضل المدني، المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه".

إن مما يؤسف له أشد الأسف أن هذه الجماعات جعلت أفهامها أفهامًا مقدسة إن في الواقع على اتساعه وإن في النص على عمقه، ومن ثم يجب التسليم بها ولها، ورفض أي محاولة تزحزح هذه الأفهام عن قدسيتها وهذا من شأنه أن يصادر حرية الفكر ويغلق باب الاجتهاد ويعطل مسيرة التجديد.

المطلب الثاني
العوائق المتعلقة بفقه الواقع الدعوي

إنَّ الواقع الدعوى واقع متسع فسيح سريع التغير والتطور حيث يشمل واقع المسلمين وما فيه من تعقيدات وتناقضات، وواقع غير المسلمين وما فيه من مهادنة للدعوة الإسلامية وعداء صريح لها، وهذا من شأنه أن يدفع أهل الدعوة الإسلامية والقائمين على أمرها إلى رصد متغيرات هذا الواقع المتسارع والكيفية المثلى في التعامل معه مما يعود بالإيجاب على واقع الدعوة الإسلامية ومستقبلها وتتمثل العوائق المتعلقة بالواقع الدعوي فيما يلي:

١- **التصور الجزئي في إدراك الواقع الدعوي:** فإنَّ الذي ينعم النظر في القرآن والسنة يجد أنهما تحدثا عن الجاهلية حديثا مستفيضًا ذلك؛ لأن المسلم لن يدرك حقيقة دينه إلا إذا أدرك الجاهلية وعرف حقيقتها وتطبيقاتها في أرض الواقع فما هي حقيقة الجاهلية في اللغة؟، يقول الراغب الأصفهاني: الجهل على **ثلاثة أضرب: (الأول):** وهو خلوّ النفس من العلم، هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيًا للأفعال الخارجة عن النظام، كما جعل العلم معنى مقتضيًا للأفعال الجارية على النظام، **(والثَّاني):** اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، **(والثالث):** فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحًا أو فاسدًا(١) هذا في معنى كلمة الجهل أما الجاهلية فيقول الشيخ الطاهر بن عاشور: وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيرًا من الجهل، وترغيبًا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في

(١) **ينظر:** المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص٢٠٩)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم- دمشق، ١٤١٢هـ.

مقامات الذم([1]) وتعني الجاهلية عند الجمهور: المدة الجاهلية القديمة قبل الإسلام([2]).

وقد وردت كلمة الجاهلية في القرآن أربع مرات وهي: على الترتيب كما يلي: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ (آل عمران: ١٥٣)، ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (المائدة: ٥٠)، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ (الفتح: ٢٦).

والذي ينعم النظر في هذا المصطلح القرآني يجد أن المراد من كلمة الجاهلية في الموضعين الأول والثاني هو الخروج عن الاعتقاد الصحيح في الله وأحكامه، فكل جهل بالله وكمالاته، وسمو نظامه، وعدالة أحكامه، وشمول شرعه هو في نظر الإسلام جاهلية بغيضة يجب ردعها والتخلص منها يقول الإمام الرازي: "يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه، والفائدة في هذا الترتيب أن غير الحق: أديان كثيرة، وأقبحها مقالات أهل الجاهلية، فذكر أولًا أنهم يظنون بالله غير الظن الحق، ثم بين أنهم اختاروا من أقسام الأديان التي غير حقة أركَّها وأكثرها بطلانًا، وهو ظن أهل الجاهلية، كما يقال: فلان دينه ليس بحق، دينه دين الملاحدة".([3])

والمراد بالجاهلية في الموضعين الثالث والرابع: الأفعال التي تتنافى مع الاعتقاد الصحيح والشرع الصريح، يقول أبو حيان: والحمية: الأنفة، يقال: حميت عن كذا حمية، إذا أنفت عنه وداخلك عار وأنفة لفعله...، وكانت حمية

---

(١) **ينظر:** التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٣٦/٤).

(٢) **ينظر:** البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (٣٩٢/٣)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ..

(٣) **ينظر:** مفاتيح الغيب الإمام الرازي (٣٩٥/٩).

جاهلية لأنَّها بغير حجة وفي غير موضعها، وإنما ذلك محض تعصب؛ لأنَّه (ﷺ) إنما جاء معظمًا للبيت لا يريد حربًا([1])، وبالتالي فإنَّ الوعي بالواقع شرط صحة في سبيل إصلاحه (فقلة الوعي في صفوف كثير من الدعاة، وغفلتهم عن واقع الدعوة والشروط المحيطة بها من جهة، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى؛ مما جعل كثيرًا منهم تحركهم العواطف وتخدعهم الشعارات، ويقفون مواقف شتى تجبرهم في كثير من الحالات إلى الندم والتلاوم".([2])

ولذا وجب غربلة الواقع غربلة تامة للتعرف على مواطن التصادم مع العقيدة، ومواطن التصادم مع الشريعة حتى يتسنى للدعاة التعامل مع الواقع بغية إصلاحه والأخذ بيديه إلى الطريق القويم؛ لأن الجهل الذي يصاحبه فتور في الهمة، وركون إلي الدعة والراحة، وقعود عن إدراك حقيقي لتعاليم الإسلام يسهل وقوع المجتمع المسلم فريسة سهلة في يد قوى التطرف والإرهاب من جهة وقوى التحلل والإلحاد من جهة أخرى يقول الإمام الخطيب البغدادي: "إن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجد والهزل، والخلاف والضد، والنفع والضر، وأمور الناس الجارية بينهم، والعادات المعروفة منهم فمن شرط المفتي النظر في جميع ما ذكرناه ولن يدرك ذلك إلا بملاقاة الرجال، والاجتماع من أهل النحل والمقالات المختلفة، ومساءلتهم، وكثرة المذاكرة لهم، وجمع الكتب، ودرسها، ودوام مطالعتها والدليل على ما ذكرناه أن الله- تعالى- لما أراد إعلام الخلق أن ما أتى به نبينا (ﷺ) من القصص، والأخبار الماضية، والسير المتقدمة معجز

(١) **ينظر**: البحر المحيط (٤٩٧/٩).

(٢) **ينظر**: المدخل إلى علم الدعوة (ص ٣٥٥)

أعلمهم أنه لا يعرف بلقاء الرجال، ودراسة الكتب، وخطه بيمينه؛ ليصدق قوله: إنه إعلام من الله، فدلَّ على أن محصول ذلك في العادة بالملاقاة، والبحث والدرس، ووجوده بخلاف ذلك خرق عادة صار به معجزًا.([1])

إنَّ الإسلام ليس عدوا للعلم وإنما هو عدو لكل تخلف علمي، وحل مشكلة التخلف العلمي لا تكون إلا بالبحث العلمي، والتقدم العلمي، وتطوير الحياة بالعلم ومنجزاته([2])، ومما يعزز هذا المعنى ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) "إنما تنقض عرى الإسلام عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية([3])، وبمزيد شرح وبيان يوضح العلامة ابن قيم الجوزية كلام الفاروق (ﷺ) فيقول: وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه: وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف: أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والبدعة سنة والسنة بدعة ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة

---

(١) **ينظر:** الفقيه و المتفقه (٣٣٤/٢).

(٢) **ينظر:** المسلمون في مفترق الطرق د. زقزوق (ص٣٨).

(٣) **ينظر:** منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم محمد ابن تيمية الحراني، الحنبلي (٣٩٨/٢)، ط١، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٦٤/٥)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية (٢٩٥/٢)، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ت، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية (٣٤٤/١)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الرسول ومفارقة الأهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً والله المستعان.([1])

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: والمراد أن من نشأ في الإسلام ولم يعرف حال الناس قبله يجهل تأثير هدايته وعناية الله بجعله مغيرا لأحوال البشر ومخرجًا لهم من الظلمات إلى النور، ومن جهل هذا يظن أن الإسلام أمر عادي، كما ترى بعض الذين يتربون في النظافة والنعيم يعدون التشديد في الأمر بالنظافة والسواك من قبيل اللغو؛ لأنه من ضروريات الحياة عندهم، ولو اختبروا غيرهم من طبقات الناس؛ لعرفوا الحكمة في تلك الأمور وتأثير تلك الآداب من أين جاء؟([2])، ولا بد من التنبيه في هذا السياق أنه ليس المقصود دمغ الواقع الدعوى بطابع الجاهلية؛ لأن الجاهلية العامة التي تشمل المجتمع بأسره كانت قبل بعثته (ﷺ) أما بعد بعثته فكل مجتمع فيه من الجاهلية بقدر ما فيه من مخالفات عقدية أو شرعية يقول: ابن تيمية (رحمه الله): فالناس قبل مبعث الرسول (ﷺ) كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل. وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول (ﷺ) قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفار وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام.

فأمَّا في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد (ﷺ) فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة، والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض

(١) **ينظر:** مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(١/٣٤٤).

(٢) **ينظر:** تفسير المنار (١/٢١).

ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال (ﷺ): «أربع في أمتي من أمر الجاهلية(١)» وقال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية(٢)» ونحو ذلك(٣)، فإن انحصار الجاهلية العامة فيما قبل بعثة النبي (ﷺ) لهو أكبر ردٍّ علي المتطرفين الذين صبغوا المجتمع بأسره بصبغة الجاهلية، وأن الجاهلية بعد بعثته (ﷺ) تكون في زمان دون زمان، ومكان دون مكان، وأشخاص دون أشخاص ولا تشمل الزمان والمكان والأشخاص كما كان الحال قبل بعثته (ﷺ)، إن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أدرك بعمق بصيرته أن الجاهلية شر مطلق ولذا: فقد كان "عمر" حريصًا على تعريف الجاهلية للناس، لا لأن تعريف الجاهلية دين، بل لأنَّ معالم الإسلام ومواقع إصلاحه لا تستبين إلا إذا عُرفت الظلمات والمظالم التي جاء هذا الدين لتبديدها ومحو شاراتها....، ومن هنا كان لزامًا على كل مشتغل بعلوم الإسلام أن يدرس الحياة كلها، وأن يتعرف وجوه النشاط البشرى- ومراميه القريبة والبعيدة. إن ضيق العطن، وسوء البصر بما يقع في الدنيا وما يتوقع، والانحصار في حدود الفكرة الخاصة، والاقتناع بجانب من المعرفة دون جانب، كل ذلك حجاب دون معرفة الإسلام والإفادة من تراثه

(١) **الحديث:** رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري، كتاب الجنائز، باب الميت يعزب ببكاء الحي والتشديد في النياحة (٦٣٨/٢) حديث رقم (٩) بلفظ«أنَّ النبي (ﷺ) قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة، وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

(٢) **الحديث:** رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي (٣٠/١)، حديث رقم (١٥).

(٣) **ينظر:** اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية (٢٥٨/١)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، عالم الكتب- بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الضخم في ميادين الثقافة والتربية، والفقه والتشريع، وسياسة الأفراد والجماعات. والدراسات المقارنة هي في نظري أجدى الوسائل للبحث عن الحقيقة، والظفر بها.(١)

ويوجه الشيخ الغزالي (رحمه الله): ندائين أولهما للمنصفين من العلماء من غير المسلمين فيقول: "وإني أهيب بالعلماء المنصفين أن يجيلوا أبصارهم فيما بلغته الآداب والفلسفات من نتائج، وأن يضمُّوا إلى هذه المعرفة دراسة الإسلام نفسه، وهم بأيسر مقارنة منتهون إلى ضرورة نفع العالم بهداياته، ومنع العوائق التي تصد الناس عنه"(٢) إن البشرية في حاجة ملحة للإسلام بعد أن مزقتها الحروب، وشاعت فيها الأثرة وحب الذات، وضاعت فيها الحقوق واستبد القوي بالضعيف، واستهزأ الناس بالإيمان وانغمسوا في الشهوات كل ذلك وغيره يحتم على أهل الإنصاف أن يخلعوا عباءة التعصب؛ ليدركوا حاجة البشرية لهذا الدين العظيم".

وثانيهما: للعلماء والدعاة المسلمين فيقول: "كلمة أخيرة إلى علماء المسلمين: إن قصر باعهم في علوم الحياة هو أبشع جريمة يمكن أن ترتكب ضد الإسلام، هذا القصور إن أمسوا به في هذه الدنيا متخلفين، فهم عند الله ورسوله أشد تخلفاً، وأسوأ عقبى، إن أنفسنا وبلادنا وحياتنا وآخرتنا في ظمأٍ هائل إلى مزيدٍ من المعرفة والضياء"(٣) "إن التقوقع في التخصص الديني والانكفاء عليه لا يخدم الدعوة الإسلامية كما ينبغي فقد، هبط العلم الديني وتقوقع رجاله في تخصصاتهم الدينية لا يمدون أنوفهم وراءها. فعالم التجويد يعيش في عالم من الغنن والمدود، والفقيه في العبادات يحيا في ميدان من الأغسال والطهارات...

---

(١) **ينظر:** جدد حياتك: محمد الغزالي (ص١٩٨، ١٩٩)، ط١، دار نهضة مصر، بدون ت.

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (نفس الصفحة).

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (نفس الصفحة).

وهكذا.. وقد كتب، الكسيس كاريل "في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" يعيب الغارقين في تخصصاتهم الطبية، ويؤكد أن العلم بالإنسان لا يتم عن هذا الطريق. ونقول نحن؟ إن العلم بالدين كله لا يتم عن طريق تجارة التجزئة، وأن الصورة الكاملة للإسلام إنما تتم على النحو السلفي الأول، وأن العقل الإسلامي المعاصر يجب أن يرتفع إلى مستوى الشمول في القرآن الكريم حتى يستطيع إعادة بناء الأمة الواحدة التي لا تحد رقعتها على سطح الأرض خطوط الطول والعرض"(١).

إن فقه الواقع هو الطريق لاكتشاف القوانين التي تحكم حركة الواقع للسيطرة عليها، وتوجيهها في الاتجاه الذي يقود إلى التقدم والنهوض، وأن التحديات الشرسة التي تواجه أمتنا في هذه الأيام قد أصبحت جزءا من هذا الواقع الذي لابد من فقهه والوعي بقوانين التعامل معه، وتلك هي المهمة التي تحاول النهوض بها الدراسات، والخلاصات والعصارات الفكرية المكثفة(٢)، وبدون فقه الواقع وكيفية التعامل معه من منظور إسلامي فإن المجتمع المسلم سيتعرض لخطر الغزو الثقافي من الخارج أو الانحلال والذوبان في غيره وقد أبان عن ذلك الشيخ محمود شلتوت حيث أشار إلى أن العقل المسلم يجب أن يصل إلى الفكر الأصيل يوم كان خالصا في موقفه من القرآن، وفي تعبيره عن تعاليم القرآن، وهو في الوقت نفسه يربط العقلية الأزهرية، أو الفكرة الإسلامية السليمة بالحياة الواقعية التي يعيش فيها العالم اليوم، والتي تتجاذبها تيارات فكرية متعارضة، يجب أن يقف العقل الأزهري أمامها ليقي الجماعة الإسلامية غزوها، وليحفظها من الانحلال والذوبان في غيرها.(٣)

---

(١) **ينظر**: سر تأخر العرب والمسلمين (ص ١٧٩، ١٨٠).

(٢) **ينظر**: الإسلام والتحديات المعاصرة (ص ٦).

(٣) **ينظر**: المرجع السابق (ص٨٣).

وخلاصة القول فإنَّ التقصير في تحصيل العلوم الإنسانية وعلوم الواقع جنبًا إلى جنب مع العلوم الشرعية تقصير عظيم في جنب الله، وتفريط في الأمانة وعزل للإسلام عن واقع الحياة تمهيدًا لوضعه في أحد المتاحف التاريخية.

١- <u>العلل الثقافية</u>

إن الواقع الدعوى فيه علل ثقافية عتيدة مازلنا نصر عليها بدعوى أنها باقية من أزمان غابرة ومن ثم فلا يمكن تجاوزها أو الخروج عليها، أو أنها مستوردة من بيئات منابذة للثقافة الإسلامية الرصينة الصافية وبالتالي فهي مفروضة علينا، والعلل الثقافية هذه تعطل في الداعية فريضة الوعي بالواقع وإدراكه إدراكا عميقا؛ لأن الذهن والجهد منصرفان إلى الماضي يحاربان أوهامًا أو خيالات لا وجود لها إلا في أذهان أصحابها، يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

أبوا عليك الخروج من أوهامهـــم * والناس في أوهامهم ســـــجناء

ومن العقول جداول وجلامـــــــد * ومن النفوس حرائر وإمـــــاء(١)

ويقول الشيخ الغزالي: "إن الثقافة الإسلامية في طورها القائم تحمل مخلفات القرون الماضية بما فيها من قوة وضعف، واستقامة وعوج، وأخلاطًا لا حصر لها من أفكار ومذاهب تفتقر إلى التمحيص وتفرض علينا ميز الخبيث من الطيب"(٢) ومن أشد ما ابتليت به الثقافة الإسلامية الصراعات التي يزعم أصحابها أنهم يحتكرون الحقيقة، وأن ما وراء ذلك كفر وضلال، وزيغ وطغيان. وأن الإسلام محصور في جملة من الرسوم من التزمها فهو التقي

(١) **ينظر:** الشوقيات لأحمد شوقي (ص٤٤)، بدون ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بدون ت.

(٢) **ينظر:** الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: لمحمد الغزالي (ص٦٤)، ط٣، مكتبة وهبة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

النفي، ومن هجرها أو قصر فيها فهو الأفاك الشقي، وما درى هؤلاء أن الثقافة الإسلامية منذ بدأت والإيمان أركانٌ ونوافل، وأصول وفروع وأعمال قلبية وأعمال جسمية...!، والذي يحدث عند بعض الناس أن جزء من الإسلام يمتد على حساب بقية الأجزاء كما تمتد الأورام الخبيثة على حساب بقية الخلايا فيهلك الجسم كله، وقد كان الخوارج أول من أصيب بهذا القصور العقلي، أو بهذا الخلل الفقهي الخوارج قاتلوا عليًا (ﷺ) أو يتبرأ من التحكيم، وقاتلوا عمر بن عبد العزيز أو يلعن آباءه من ملوك بني أمية[1]، ويمكن إجمال هذه العلل الثقافية فيما يلي:

- **ازدواجية التعليم:** فبعد أن كان الأزهر الشريف هو مصدر العلم والمعرفة في مصر والعالم الإسلامي عمل الاحتلال البريطاني لمصر على تنحيته عن عرشه المستحق، وعمل على فصل التعليم الشرعي عن التعليم المدني فحصل بسبب ذلك ازدواجية في الرؤية بين أبناء الوطن الواحد فتعقدت الأمور، وصعب التلاقي على كلمة سواء. وحدث الشيء ذاته في معظم أرجاء العالم الإسلامي بأن نُحيت المحاضن التربوية الشرعية أو أغلقت واستعيض عنها بمحاضن تربوية مدنية فوجدنا من بني جلدتنا من يتبنى رؤى الغرب دون أن تعلو وجهه حمرة الخجل

- **التقعر في دراسة ما وراء المادة** مرض أصاب المسلمين ولوي مسيرتهم ليا شائنا والمعروف أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب، ومناط التكاليف الاعتقادية والعلمية، وأنه بحسب المسلمين في عالم الخلق والسلوك، وعالم العقيدة والعبادة، وعالم القضاء والتشريع أن يعتمدوا على هذه الآيات المحكمة وحدها أما

(١) **ينظر:** الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: لمحمد الغزالي (ص ٦١)، ط٣، مكتبة وهبة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ما تشابه في الحديث عن ذات الله وصفاته فلا مجال للعقل في بحثه(١) إن الخوض في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله خوض فيما لا طائل من ورائه، ومضيعة للوقت، وتبديد للطاقات، وحرف للأمة عن مسارها الفكري الصحيح؛ حيث إن الآيات المحكمة – أي واضحة الدلالة – هي جل القرآن الكريم والتي يجب صرف الهمم في تدبرها ومن ثم تطبيقها والعمل بها، ولقد كان جديرا بالمسلمين أن يفكروا في الكون، وينتهزوا فرصة حياتهم على الأرض ليعرفوا عظمة رب العالمين، بدراسة خواص المادة والقوانين السارية بين شتى العناصر(٢) هذا هو منهج الإسلام في لفت الأنظار إلى التفكر في الخلق لإدراك عظمة الخالق– سبحانه–.

– **التحقير من أمر الدنيا في الخطاب الدعوي** وأن الدنيا للكفار والمسلمون لا بد أن ينصرفوا عنها ويخلوها لأصحابها، وهذا الخطاب الدعوى قد توطن في نفوس السواد الأعظم من المسلمين، و تغافل هؤلاء عن عديد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية إلي السير في الأرض لأخذ العظة والعبر، والابتغاء من فضل الله وأن ترك الدنيا على الجملة يخالف الهدى القرآني من ذلك قوله– تعالى–: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص: ٧٧) يقول الإمام ابن كثير: ﴿**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ أي: مما أباح الله فيها من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمناكح، فإنَّ لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا فآت كل

(١) **ينظر:** الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: لمحمد الغزالي (ص ٦٤–٦٥)، ط٣، مكتبة وهبة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (ص ٦٨).

ذي حق حقه(١)، ويقول العلامة ابن عاشور في معني هذه الآية: ﴿**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ**﴾ مستعمل في الإباحة، والنسيان كناية عن الترك -أي لا نلومك على أن تأخذ نصيبك من الدنيا أي: الذي لا يأتي على نصيب الآخرة، وهذا احتراس في الموعظة خشية نفور الموعوظ من موعظة الواعظ؛ لأنهم لما قالوا لقارون: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ**﴾ أوهموا أن يترك حظوظ الدنيا فلا يستعمل ماله إلا في القربات، فأفيد أن له استعمال بعضه في ما هو متمحض لنعيم الدنيا إذا آتى حق الله في أمواله(٢)، ويؤيد هذا قوله- تعالى-: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف: ٣٢) إن غرض العاملين للإسلام أن يمكن الله- تعالى- لدينه في الأرض فكيف يتأتى هذا التمكين والمسلمون غفل عن هذه الحياة وعن أسباب التمكين فيها؟

- **شيوع ثقافة الجبر في العالم الإسلامي:** فقد عمل كثير من الحكام على ترسيخ هذه الثقافة في نفوس العامة من المسلمين من أجل تثبيت سلطانهم، وأنهم ما صلوا إلى السلطة إلا بإرادة من الله، وأن منازعتهم في سلطانهم إنما هي في الحقيقة منازعة للإرادة الإلهية التي قضت بأن يكون هؤلاء هم الحكام والأمراء، ولم يتوقف الأمر عن هذا الحد وإنما تطور تطورا مريعا بأن أضحت ثقافة الجبر ثقافة حاكمة على تصورات كثير من المسلمين في نظرتهم للحياة والأحياء؛ فقعدوا عن الأخذ بالأسباب، وتخلفوا عن ركب الحضارة، وتتابعت عليهم المحن والخطوب، وأصيبوا بكل قاصمة للظهر، ولم تنبعث هممهم

(١) **ينظر:** تفسير القرآن العظيم الإمام: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٢٥٣/٦)، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

(٢) **ينظر:** التحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور(١٧٩/٢٠)، بدون ط، دار سحنون - تونس، ١٩٩٧م.

لمناهضة هذه العقبات، بل استسلموا لها من منطلق التسليم بالقضاء والقدر!، يقول الشهرستاني: "الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب- تعالى- والجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا"(١)، وعن حقيقة الجبر التي تعطل مدارك الإنسان وتصيب قواه الحية بالشلل يقول الشيخ رشيد رضا: "وبهذا تعلم جهل بعض العباد والشعراء فيما زعموه من أن الكسب وعدمه سواء، كقول بعض الخياليين الجاهلين، المتواكلين غير المتوكلين:

جرى قلمُ القضـــــاءِ بما يكونُ * فَسِيَّان التَّحَرُّكُ والســـــــكونُ

جنونٌ منك أن تَســـــعَى لرزقٍ * ويُرزقُ في غِشَـــاوتِه الجنينُ(٢)

واستمر المسلمون على ذلك فظلوا يحتفون بالأنساب أكثر مما يحتفون بالأعمال، ويؤخرون العلم ويقدمون الحظ، ويريقون الأوقات على مصاطب اللغو والثرثرة أكثر مما يستغلون الأوقات في الجد وتحكمهم تقاليد ابتدعوها أكثر مما تحكمهم مواريث الدين ذاته، بل جعلوا العلم بالدين وظيفة الهمل والمغموصين. فكان العقاب الأعلى لهذه الخيانات الباطنة والظاهرة أن سقطت الأمة الإسلامية على الصعيد العالمي هذا السقوط الذريع، وانسحب ذلك على دينها، فلم يصدق الناس أنه رحمة للعالمين..!!(٣)

---

(١) **ينظر:** الملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٩٩/١)، تحقيق: محمد فريد، ط١، المكتبة التوفيقية، بدون ت.

(٢) **ينظر:** تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد بن علي رضا (١٣/١٢)، بدون ط، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٣) **ينظر:** قذائف الحق: لمحمد الغزالي السقا (ص١٣٨)، بدون ط، المكتبة العصرية- بيروت، بدون ت.

٢- <u>اتباع الهوى</u>

جاء في لسان العرب: الأهواء واحدها هوى، وكل فارغ هواء، والهواء: الجبان؛ لأنه لا قلب له، فكأنه فارغ، والواحد والجمع في ذلك سواء، وقلب هواء: فارغ، وكذلك الجمع، وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ (إبراهيم: ٤٣) يقال فيه: إنه لا عقول لهم، وقيل كأنهم لا يعقلون من هول يوم القيامة، وقيل: وأفئدتهم هواء أي: منحرفة لا تعي شيئا من الخوف، وقيل: نزعت أفئدتهم من أجوافهم(١)، ويقول الجرجاني: الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع.(٢)

وفي القرآن الكريم بيان واضح بأن إتباع الهوى يؤدي إلي الفساد العريض الذي يشمل العوالم العلوية والسفلية وما بينهما قال- تعالى-: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**﴾ (المؤمنون: ٧١) يقول الإمام ابن كثير: "قال مجاهد وأبو صالح والسدي: الحق هو الله (ﷻ)، والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ (الزخرف: ٣١) ثم قال: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ**﴾ (الزخرف: ٣٢)، وقال- تعالى-: ﴿**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا**﴾ (الإسراء: ١٠٠) وقال: ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**﴾ (النساء: ٥٣)، ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم وأنه- تعالى- هو الكامل في جميع صفاته، وأقواله، وأفعاله، وشرعه، وقدره، وتدبيره، لخلقه-

(١) **ينظر:** لسان العرب (١٥/٣٧٠).

(٢) **ينظر:** التعريفات للجرجاني (ص ٨٢).

تعالى- وتقدس فلا إله غيره ولا رب سواه(١)، وورد في السنة تحذير شديد من اتباع الهوى فعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ، عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ (المائدة: ١٠٥) فَقَالَ أَبُو ثَعْلَبَةَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، أَنَا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّه (ﷺ) قَبْلًا فَقَالَ: «يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَابُدَّ لَكَ مِنْ طَلَبِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ وَدَعْهُمْ وَعَوَامَّهُمْ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ(٢)» يقول صاحب تحفة الأحوذي: "والمعنى إذا علمت الغالب على الناس شحا مطاعًا أي: بخلًا مطاعًا بأن أطاعته نفسك وطاوعه غيرك، وفي النهاية: هو أشد البخل وقيل: البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها والشح عام، وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال وبالمعروف (وهوى متبعًا) بصيغة المفعول أي: وهوى للنفس متبوعًا.

وحاصله أن كلا يتبع هواه (ودنيا) بالقصر وهي عبارة عن المال والجاه في الدار الدنية (موثرة) أي: مختارة على أمور الدين (وإعجاب كل ذي رأي برأيه) أي: من غير نظر إلى الكتاب والسنة والإعجاب بكسر الهمزة هو وجدان الشيء حسنًا ورؤيته مستحسنًا بحيث يصير صاحبه به معجبًا(٣)، وهذه الأمراض الاجتماعية قد شاعت – للأسف – بين الدعاة، فوقع بعضهم فريسة

---

(١) **ينظر:** تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير (٣٠٩/٣)، بدون ط، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٢) **الحديث:** أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الرقاق (٣٥٨/٤) حديث رقم (٧٩١٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح، وأخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة المائدة، وقال حديث حسن غريب (٥٢٧/٥).

(٣) **ينظر:** تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لـ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (٣٣٧/٨)، بدون ط، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ت.

لهذه الأمراض الفتاكة فتحكم الشح في نفوس بعضهم، وأصبح الهوى متبوعًا، والدنيا مؤثرة على الآخرة، وأعجب كل ذي رأى برأيه حتى ما تصور عنده حقا مطلقا، وما عند الآخرين خطأ محضًا وباطلًا صريحًا(١)، وهذا يخالف ما عليه السلف الصالح.

إن إرخاء العنان للأهواء تتلاعب بالخطاب الدعوي وتوجهه يمنة ويسر، و بالتراث وتنتقي منه ما يرجحه الهوى دون ما يؤيده المنهج العلمي الدقيق في التعامل مع التراث لهو مضرة كبري تهدد ثوابت الإسلام وأصالة مبادئه حيث إن الهوى يدفع صاحبه أن يُدخل في التعاليم الإسلامية ما ليس منها، إرضاء لهواه، وقد تكون جريمته أخف إذا أرضى هواه عن طريق المعصية، ولكنه يريد أن تظل سمعته الدينية حسنة بين الناس، فهو يحاول أن يجد لعمله مبررًا، فيدخل في التعاليم الإسلامية الشوائب التي ترضي هواه، ثم يتستر وراءها حذرًا من سخط الناس ونقمتهم، وينسى أو يتناسى أن نقمة الله أشد عليه وأقسى من نقمة الناس.(٢)

يقول الإمام الشاطبي: المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارًا كما هو عبد لله اضطرارًا والدليل على ذلك أمور: (أحدها): النص الصريح الدال على أن العباد خلقوا للتعبد لله والدخول تحت أمره ونهيه كقوله- تعالى-: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾ (الذاريات: ٥٦، ٥٧)، (الثاني): ما دل على ذم مخالفة هذا القصد من النهي أولًا عن مخالفة أمر الله وذم من أعرض عن الله وإبعادهم بالعذاب العاجل من العقوبات الخاصة بكل صنف من أصناف المخالفات والعذاب الآجل في الدار الآخرة وأصل ذلك اتباع

(١) **ينظر:** المدخل إلى علم الدعوة (ص٣٥٦).

(٢) **ينظر:** صراع مع الملاحدة (ص٥٥).

الهوى والانقياد إلى طاعة الأغراض العاجلة والشهوات الزائلة فقد جعل الله اتباع الهوى مضادا للحق وعده، قسيمًا له كما في قوله- تعالى-: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ (ص:٢٦)، (الثالث): ما علم بالتجارب والعادات من أن المصالح الدينية والدنيوية لا تحصل مع الاسترسال في اتباع الهوى والمشي مع الأغراض لما يلزم في ذلك من التهارج والتقاتل والهلاك الذي هو مضاد لتلك المصالح وهذا معروف عندهم بالتجارب والعادات المستمرة ولذلك اتفقوا على ذم من اتبع شهواته وسار حيث سارت به"(١)، ومما يقطع الطريق علي المتلاعبين بالتراث الذين آمنوا بالحداثة باطنا ولبسوا عمامة الشرع ظاهرا ما قرره الإمام الشاطبي بأنه من المخالفة الصريحة لمنهج الإسلام تخيير المستفتي بين الآراء الفقهية في المسألة الواحدة لأنه ليس من أهل النظر في الدليل وهذا منهج شاذ تبناه ودعا إليه بعض من تزيوا بزي علماء المسلمين ظنا منهم أنهم بهذا يوسعون على الناس ويبرزون محاسن الشريعة هذا مع إحسان الظن بهم بطبيعة الحال يقول الإمام الشاطبي: أما إذا كان اطلع على فتاويهم قبل ذلك – يقصد المستفتي – وأراد أن يأخذ بأحدها فقد تقدم قبل هذا أنه لا يصح له إلا الترجيح لأن من مقصود الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لله وتخييره يفتح له باب اتباع الهوى فلا سبيل إليه البتة(٢)، وأنت ترى أن الإمام الشاطبي يتحدث عن مستفتٍ عنده قدرة على قراءة آراء الفقهاء في

(١) **ينظر:** الموافقات في أصول الفقه إبراهيم بن موسى اللخمي، الغرناطي، المالكي (١٦٨/٢) وما بعدها بتصرف، تحقيق: د. عبد الله دراز، بدون ط، دار المعرفة – بيروت، بدون ت.

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (٢٦٢/٤).

مظانها وفهمها ومحاولة التخير من بينها ولأن اختياره قد يكون استجابة لداعي الهوى حيل بينه وبين ما يهوي.

لأن الشريعة جاءت بما يجعل الهوى تابعًا للأمر والنهي فما ظنك بمستفتي هذا الزمان الذي لا يكاد يبين إلا من رحم الله؟

٣- <u>الغزو الفكري</u>

إن الغزو الفكري سلاح قديم حديث، لم يُفل حده، ولم تُبل جدته فقد استخدمه أعداء الدعوة الإسلامية قديما ويستخدمونه حديثًا يقول الدكتور رؤوف شلبي: "إذا كانت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تعاني من الغزو الفكري بأنواعه المتعددة، فقد كانت الدعوة منذ عهدها المكي مستهدفة لمثل هذا اللون من المجابهة، فإذا جابه الغزو الفكر الشيوعي الكذاب، والصليبي الحقود، واليهودي الماكر الخبيث دعوة الله الخاتمة التي جاء بها سيدنا محمد (ﷺ) فإن هذه المواجهة استمرار لأسلوب طبيعي في معاندي الدعوة الإسلامية لا فرق بين قديم فيه أو حديث(١)، وهذا ما بينه الحق (ﷻ): ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: ٢١٧).

وحيث إن العدو قد يئس من السيطرة على هذه الأمة والقضاء على دينها بعتاده وسلاحه؛ لأنه أدرك بعد صراع مرير وحروب متواصلة لا تنقطع، ودماء غزيرة قد أريقت أن الإيمان بالله ورسوله (ﷺ) لا تقوي عليه أسلحة مهما كان تطورها، ولا معدَّات قتالية مهما كانت حداثتها فاختط لنفسه خطة ماكرة

(١) **ينظر:** الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: د. رؤوف شلبي (ص٤٣٩)، ط٣، دار القلم، بدون ت.

خبيثة بأن يعمل على عزو هذه الأمة فكريا حتى يطفئ جذوة الإيمان المتقدة في القلوب فتخبو العقيدة ويزول أثرها رويدًا رويدًا من النفوس فعندما وقع لويس التاسع ملك فرنسا(١) في الأسر بعد هزيمة حملته الصليبية، وبقي سجينًا في المنصورة فترة من الوقت حتى افتداه قومه وفُك أسره. وفي أثناء سجنه أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه، ثم عاد يقول لقومه: إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هُزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم(٢) إن لويس التاسع ملك فرنسا قد وضع (معالم سياسته الجديدة واتجاهاتها وأسسها على النحو التالي:

أولاً: تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذى يستخدم في المعركة، وكان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم وبعض، وإثارة الحلافات في الأوساط الإسلامية والعمل على بقاء نارها مستعرة بين الأمراء المسلمين، ثم الإمعان في تأييد بعضهم ضد البعض...، واستغلال ما يكون بين العرب والمسلمين من منافسات وخلافات استغلالا يمكن الغرب من

---

(١) **لويس التاسع:** ملك فرنسا من سنة ١٢٢٦م-١٢٧٠م قاد الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٤٩م، التي توجهت إلى مصر والتي باءت بالفشل، وأُسر فيها لويس، وسُجن في المنصورة بمصر، وأُطلق سراحه بفدية كبيرة، ثم قاد في آخر حكمه حملة أخرى سنة ١٢٧٠م، توجهت إلى تونس حيث فشلت أيضًا ومات فيها لويس. انظر أوربا العصور الوسطى، **ينظر:** التاريخ السياسي: د. سعيد عبد الفتاح عاشور (١/٢٦٠: ٢٦٥)، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية- مصر، ١٩٧٥م.

(٢) **ينظر:** تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي(١/٣٤٠) بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط (٣٥)، العدد (١٢١) ١٤٢٤هـ.

التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية كما يهيئ له السبيل إلى تفتيت الكتلة الإسلامية، وإشاعة التفكك في وحدة المسلمين فينهار الإسلام من تلقاء نفسه.

ثانيًا: تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام، ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنويًا واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودًا للغرب.

ثالثًا: العمل على استخدام مسيحيي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب.

رابعًا: العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزًا لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية. ومنها يمكن حصار الإسلام، والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته، وقد عين لويس التاسع لإنشاء هذه القاعدة الأراضي الممتدة على ساحل البحر الأبيض من غزة حتى الإسكندرية، وتشمل فلسطين والأردن والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسرها(١)، وقد عمل الغرب على تنفيذ هذه الخطة بكل صبر وأناة، وحكمة وإتقان مما خلَّف تشوهات فكرية، وعلل معرفية أعاقت حركة الدعوة الإسلامية، ووقفت حجر عثرة أمام انطلاق الخطاب الدعوي انطلاقته المرجوة وتتمثل هذه الآثار السلبية للغزو الفكري فيما يلي:

أولا: الجانب العقدي

فقد عمل أعداء الإسلام على إفساد العقيدة، وإطفاء نورها في قلوب المسلمين ومن ثم (فقد سار الأوربيون في طريق تنفيذ وصية القديس "لويس" في تزييف العقيدة الإسلامية، وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان عن طريق التفرقة بين العقيدة والشريعة، وتصوير الإسلام بصورة الدين الذي يبذل غاية همه في

(١) **ينظر:** معركة المصحف في العالم الإسلامي: محمد الغزالي (ص١٥٤)، ط٥، دار نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

العبادة كالمسيحية، إلى أن وصلوا إلى الفصل بين الدين والدولة، وفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن في أصالة عقديتهم وجوهر دينهم.([1])

وهذا ما يعمل الغرب على إنجاحه بكل وسيلة حيث إن نجاح الغزو الفكري للعقول والقلوب المسلمة، معناه الإجهاز نهائيًا وبطريقة هادئة على كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام في حياة الفرد أو حياة الأمة، وذلك أقصي ما يطمح الغزاة إلي؛ لأنهم يدركون سلفاً مدى استمساك المسلم بدينه واستحالة تخليه عنه، ومن ثم فإنهم يكتفون من نتائج الغزو الفكري بأن يشلوا فاعلية الإسلام في حياة المسلم ويتركوه في الحالة التعسة لا هو مسلم ولا هو غير مسلم؛ لأن نتيجة الحسبة ستكون لصالحهم في كل الأحوال([2])، وهذا ما أفصح عنه صموئيل زويمر حيث قال: ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هدايةً لهم وتكريمًا، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وفي نهاية كلمته قال: إنكم أعددتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلاميّ طبقًا لما أراده له الاستعمار المسيحيّ؛ لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف همه من دنياه إلّا في الشهوات([3])، وقد نجح الغزو الفكري في هذا الميدان بعض الشيء، فحصون المسلمين تنهار من الداخل، فأكثر شبابنا غير متمسكين بتعاليم الإسلام، وأكثرهم

(١) **ينظر:** أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: علي محمد جريشه، محمد شريف الزيبق (١٩، ٢٠)، ط٣، دار الوفاء، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) **ينظر:** الغزو الفكري أهدافه ووسائله: د. عبدالصبور مرزوق (ص ٨)، بدون ط، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، بدون ت.

(٣) **ينظر:** أساليب الغزو الفكري هامش(ص ٣٤).

لا يكادون يعرفون عن الإسلام شيئا مذكورًا، أما الفكر الإسلامي الأصيل، فهم بعيدون عنه كل البعد.(١)

لقد أدرك الغرب أن السلاح الأقوى الذي يملكه المسلمون هو إيمانهم بالله ورسوله (ﷺ) الإيمان الحقيقي الذي يمثل قوة دافعة في إحقاق الحق وإبطال الباطل، وليس الإيمان الإرجائي الذي يؤسس للسلبية المقيتة، ولا إيمان الخوارج الذي يدعو إلي التصادم العنيف ولا إيمان أصحاب الحلول والاتحاد أو كما يقول الشيخ الغزالي (رحمه الله): "التجديد ليس أن تعجن الخالق والمخلوق في أقنوم مائع، ثم تلف حوله حارقًا البخور، نافخًا فى المزمور، كلا، إن التجديد أولًا وآخرًا عقل يرفض الخرافة، وقلب يتعشق الكمال ويتطلبه"(٢)، إن الغرب يرى في المفهوم الإسلاميّ السليم ما يعطي المجتمع الإسلاميّ قوةً تحول بينه وبين سيطرة الاستعمار، فعمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، وإحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدولة الغالبة والمغلوبة محلها، تحت اسم: الحضارة، أو العالمية، أو وحدة الثقافة والفكر البشريّ(٣)، وقد بعث الغرب بجيش من العملاء صنعهم على عينه من أجل بث المفاهيم المناقضة للعقيدة الإسلامية فإذ بنا نرى أنَّ أول صوت ارتفع في بلادنا مبشرًا بالفلسفة الإلحادية في النظرية الدارونية كان صوت شبلي شميل(٤) الذي يعد جنديًا في جيش العملاء، وبيدقا في يد أعداء العروبة والإسلام.

---

(١) **ينظر:** أهمية الدعوة: محمود شيس خطاب (ص١١).

(٢) **ينظر:** قذائف الحق: لمحمد الغزالي السقا (ص ٥١)، ط١، دار القلم- دمشق، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (نفس الصفحة).

(٤) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص ٦٢).

إن رسوخ الإيمان الصحيح في النفوس يمثل قاطرة التقدم؛ لأن عقيدة التوحيد هي نواة هذا المركب الحضاري، وبالرغم من أن الجزء الأكبر من المسلمين يعيش الإسلام عقيدة باهتة فقدت عبر عصور التخلف والانحطاط كثيرًا من اتقادها وشعلتها([1]) إن تنحية الإيمان عن الحياة أو محاولة إضعافه هو سُّر هلاك الأمم وزوالها يقول فيلسوف الإسلام محمد إقبال.

إذا الإيمان ضاع فلا أمـــــــان * و لا دنيا لمن لم يحي دينـــــــا

ومن رضي الحـــــياة بغير دين * فقد جعل الفناء لها قرينـــــــا

تساندت الكواكب فاســـــــتقرت * ولولا الجاذبية ما بقينـــــــا

وفي التوحيد للهم اتحـــــــاد * ولن تبنوا العلا متفرقينـــــا([2])

ثانيا: الجانب الشرعي

إن الغزو الفكري في هذا الجانب جعل من الفكر الإسلامي الأصيل غير واضح المعالم في البلاد العربية والإسلامية نفسها فقد أصبح مشوها إلى أبعد الحدود، بفعل العصور المظلمة التي مر بها المسلمون وبتأثير الإسرائيليات التي اقتحمت حرمه، والخرافات التي شوهت مبادئه وبترسبات الاستعمار الفكري البغيض الذي هو أخطر أنواع الاستعمار على الإطلاق([3])، ومن ثم فقد قد أثمر الغزو الفكري في الجانب الشرعي ثمارا مرة جلبت الشر والسوء علي أهل

(١) **ينظر:** الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة: فادي إسماعيل (ص١٢، ١٣)، بدون ط، دار الوفاء، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢) **ينظر:** ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة: إعداد. سيد عبد الماجد الغوري (١٠٣/١) ترجمة/ الصاوي شعلان، بدون ط، دار ابن كثير، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٣) **ينظر:** أهمية الدعوة: محمود شيت خطاب(ص ١١)، ط١، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، بدون ت.

الإسلام تمثلت في فصل الدين عن الدولة وهذه فكرة لم يعرفها المسلمون من قبل حيث إن فقهنا الإسلاميّ، ومن بعده فكرنا الإسلاميّ، لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها، بل إنه على العكس من ذلك يعرف أن قرآنه يحرم تجزئة الكتاب، ويعتبر ذلك كفرًا وفتنة وجاهلية، ويعرف أن الوظيفة الأولى لهذا القرآن أن يحكم، لا أن يوضع على الأرفف والمناضد، أو تحشى به الجيوب والتمائم، أو تتغنى به وتتسلى بعض العمائم([1]) قال- تعالى-: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ (الأعراف: ٣)، وقد قام صاحب الشريعة (ﷺ) بهذا البيان العملي في أقواله، وأفعاله، وتقريراته يقول الإمام القرافي: اعلم أن رسول الله (ﷺ) هو الإمام الأعظم والقاضي الأحكم والمفتي الأعلم فهو (ﷺ) إمام الأئمة وقاضي القضاة وعالم العلماء فجميع المناصب الدينية فوضها الله- تعالى- إليه في رسالته وهو أعظم من كل من تولى منصبًا منها في ذلك المنصب إلى يوم القيامة فما من منصب ديني إلا وهو متصف به في أعلى رتبة غير أن غالب تصرفه (ﷺ) بالتبليغ؛ لأن وصف الرسالة غالب عليه ثم تقع تصرفاته (ﷺ) منها ما يكون بالتبليغ والفتوى إجماعًا ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة ومنها ما يختلف العلماء فيه؛ لتردده بين رتبتين فصاعدًا فمنهم من يغلب عليه رتبة ومنهم من يغلب عليه أخرى([2])، فعلى المسلمين أن ينهجوا نهج نبيهم؛ لأن اتباع الشرع ليس فضلًا يسديه المسلمون إلي الشريعة بل هو فرض عليهم بموجب عقد الإيمان بالله (ﷻ) هذا من ناحية ومن ناحية أخري، فإن الشريعة ليست قاصرة بل ولدت كاملة وقد بلغت أعلى درجات الكمال يقول الشيخ الغزالي: "فقهنا

(١) **ينظر:** أساليب الغزو الفكري (٣٧-٣٨).

(٢) **ينظر:** الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق: لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي (٣٥٧/١)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الإسلامي الذي يتسع طولًا وعرضًا ليشمل كل شيء، إنه يتحدث في شئون العبادة من صلاة وصوم وزكاة وحج، ويتحدث في شئون الأسرة من زواج وطلاق وحضانة ومواريث، ويتحدث في الشئون التجارية من بيع وإيجار وشركات وكفالات وحوالات... الخ، ويتحدث في الجنح والجنايات المتعلقة بالعرض والدم والمال، ويُشرِّع أنواع الحدود والقصاص، ويتحدث في الشئون الدولية وما قد يقع من حرب، أو يعقد من صلح أو هدنة أو أمان... الخ(١) إن الغزو الفكري نجح إلي حدّ ما في وضع الشريعة الإسلامية في المتاحف مع اللغة الهيروغليفية البائدة، وأضحى العمل بها حلما، والنداء بها جرمًا الوحدة الإسلامية مزقت شر ممزق مع القوميات الضيقة المتعددة التي جعلت المسلمين سبعين شعبًا، لكل شعب منها رايته، وفكرته، ومصالحه، وتاريخه. الثقافة الدينية والتربية الدينية انكمشتا، أو اختفتا من التعليم العام، وتخرجت من المدارس والجامعات فى الأمة الإسلامية الكبرى طوائف غريبة على الإسلام جاهلة له، منكرة لتقاليده وشعائره!! أو محايدة.. أو عاطفة من بعيد!! المصحف، كتاب حسن الطبع جميل الورق، أما ما تضمنه من وحى ينشئ الأمم، ويمسك الحضارات أن تزول، فشيء لا يخطر إلا ببال نفر من المتخلفين عن قافلة العصر"(٢)، ولذا كانت تنحية الشريعة عن قيادة الحياة خطة محكمة، ومكرا تزول منه الجبال يستهدف هوية الأمة، ويقضى على سيادتها، ويدمغها بدامغ الذل والتبعية أبد الدهر ومن ثم فإن أول صوت ارتفع بالدعوة إلى تعميم العلمانية في الثقافة والفكر والمجتمع، وفصل الدولة والقانون عن الإسلام كان صوت فرح أنطون الذي تصدى له الإمام محمد عبده في مجلة المنار فشهدت

(١) **ينظر:** مائة سؤال عن الإسلام (ص ٢٥٦).

(٢) **ينظر:** معركة المصحف (ص١٥٣).

بلادنا معارك بين تيار الإسلامي وبين جيش الغزو الفكري الذي أنشأه ودربه الاستعمار في مدارس التبشير بلبنان.(١)

ثالثا: هوية الأمة الإسلامية

لقد عمل الغزو الفكري علي تذويب هُوية الأمة وجعلها أمة فاقدة لهويتها غافلة عن غايتها تسير مع القطيع لا إرادة لها ولا قرار، أمة مستهلكة وليست منتجة أمة تابعة وليست متبوعة فأصبحت هذه الأمة الكبيرة مضطربة حائرة تُرواح مكانها، وحتى يصل الغرب إلي هذه الثمرة المرة قام بجملة من الأمور في غاية المكر والدهاء والخبث منها:

(١) الحرب على اللغة العربية لأن اللغة هي وعاء الشريعة، والسبيل الأوحد لفهم القرآن والسنة، وبدونها يصبح الوحي مستعجمًا على المسلمين، وهى أيضًا معلم مهم من معالم هوية هذه الأمة، ورمز لعزتها، وشارة أصالتها واستقلالها فثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين: (الدين بعلومه، اللغة بفنونها المعروفة)، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه فالإسلام بغير العربية يستعجم ويضمحل، والعربية من غير الإسلام تتكمش وتزول.(٢)

وعن مكانة هذه اللغة العظيمة يقول الإمام الشافعي، ولسان العرب: أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي(٣) ولا ينبئك مثل خبير فقد حاز الشافعي (ﷺ) رتبة الإمامة في اللغة ولذا فهو يدعو الناس إلي تعلمها فيقول: على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يَشْهَد به أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، ويتلوَ به كتابَ

(١) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص٦٢).

(٢) **ينظر:** حقيقة القومية العربية محمد الغزالي (ص١٤)، بدون ط، نهضة مصر، بدون ت.

(٣) **ينظر:** الرسالة الإمام الشافعي (ص٣٤)، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مكتبة الحلبي- مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغيرِ ذلك، وما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله الله لسانَ مَنْ خَتَم به نُبوته، وأَنْزَلَ به آخر كتبه: كان خيرًا له([1]) لأن الازدياد في تعلم اللغة يؤدي إلي حسن الفهم عن الله يقول الإمام الشافعي: وإنما بدأت بما وصفتُ، من أن القُرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم مِن إيضاح جُمَل عِلْم الكتاب أحد، جهِل سَعَة لسان العرب، وكثرةَ وجوهه، وجِماعَ معانيه، وتفرقَها. ومن علِمه انتفَتْ عنه الشُّبَه التي دخلَتْ على من جهِل لسانَها([2])) إن الحرب على اللغة العربية جزء من الحرب على هوية الأمة وقد فصَّلت القول في أبعاد المؤامرة على اللسان العربي الدكتورة نفوسة زكريا سعيد في كتابها تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر([3]) وأبو فهر محمود محمد شاكر في كتابه أباطيل وأسمار حيث أبانا عن أنها حرب قديمة جيشت لها الجيوش، وأنفقت عليها الأموال من أجل الإطاحة باللسان العربي، فأول صوت ارتفع بالدعوة إلى إحلال العاميات محل العربية الفصحى لغة القرآن ولسان الإسلام والشريعة والفقه والتراث وعامل الوحدة بين العرب والمسلمين؛ لإقامة القطيعة بين الأمة ومدنيتها الإسلامية تمهيدًا؛ لإحلال المدنية الغربية محل المدنية الإسلامية أول صوت ارتفع بهذه الدعوة كان صوت واحد من الكتيبة الثقافية التغريبية هو أمين شميل، ويومئذ رد عليه عبدالله النديم بمقال يلخص عنوانه القضية إضاعة

(١) **ينظر:** الرسالة الإمام الشافعي (ص ٤٩)، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مكتبة الحلبي- مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م..

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (ص٤٧).

(٣) هذا الكتاب في الأصل هو رسالتها للدكتوراه وقد طبع عدة طبعات أولها، طبعة دار نشر الثقافة- الأسكندرية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

اللغة تسليم للذات.([1]) إن حافظ إبراهيم يحكى مأساة اللغة العربية في قصيدته اليتيمة التي بعنوان ‹‹اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها›› وقد نشرها في مطلع القرن الماضي جاء فيها:

رجَعْتُ لنفسي فاتَّهَمْتُ حَصَـــاتي * ونـاديتُ قَوْمي فاحْتَسَـبْتُ حَيَاتي
رَمَوْني بعُقْمٍ في الشَّـبَابِ وليتني * عَقُمْتُ فلم أَجْزَعْ لقَـــوْلِ عُدَاتي
وَلَدْتُ ولمّا لم أَجِدْ لعَرَائســـــي * وَلَدْتُ ولمّا لم أَجِدْ لعَرَائســـــي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظاً وغَايَـــةً * وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بهِ وَعِظَـــاتِ
أأضيق اليوم عن وصـــف آلَةٍ * وتنســـيق أَسْمَاءٍ لمُخْتَرَعَاتِ
أنا البحرُ في أحشـائِهِ الدرُّ كَامِنٌ * فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي
أَيَهْجُرُني قَوْمي عَفَا اللهُ عَنْهُـــمُ * إِلَى لُغَـــــةٍ لم تَتَّصِلْ برُوَاةِ
سرت لوثة الإفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَـرَى * لُعَابُ الأَفَاعِي في مَـسِيلِ فُـرَاتِ
فَجَاءَتْ كَثَوْبٍ ضَمَّ سَـبْعِينَ رُقْعَةً * مُـشَكَّلَةَ الأَلْـوَانِ مُخْتَلِفَـاتِ
إِلَى مَعْشَرِ الكُتَّابِ وَالجَمْعُ حَـافِلٌ * بسَطْتُ رَجَائي بَعْدَ بَسْطِ شَـكَاتي
فإمَّا حَـيَاةٌ تَبْعَثُ المَيْتَ في البلَى * وَتُنْبتُ في تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَـــاتي
وَإِمَّا مَمَاتٌ لا قِيَامَـــــةَ بَعْدَهُ * مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بمَمَـاتِ([2])

إن الشيخ الغزالي يصرخ صرخة مدوية يوقظ بها النائم وينبه بها الغافل ويوجع ولا يميت فيقول: هذا الرباط الذي اختاره الوحي الأعلى ترجمانًا له وعنوانًا، وهو لسان العرب. وجعل العربية لغة عامة للأمة الإسلامية ضرورة

(١) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص٦١، ٦٢).

(٢) **ينظر:** ديوان حافظ إبراهيم (ص٢٥٣: ٢٥٥)، ضبطه/أحمد أمين، ط٢، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧م.

حيوية، وإني لأحسب أن وحدة اللغة بين الإنكليز والأمريكان هي السبب الأول في أن الشعب الأمريكي هبَّ عن بكرة أبيه ينجد حلفاءه في حربين هائلتين، كادت الهزيمة في كلتيهما تأتى عليهم، ومنزلة اللغة الإنكليزية في الهند وباكستان وجنوب أفريقيا وسائر أجزاء الإمبراطورية المرنة لا جدال في رفعتها. إنها لغة الألوف المؤلفة في هذه الأقطار الشاسعة. وليست لغة قبيل من الناس، أو طائفة من الموظفين، ومع سيادة اللغة الفاتحة فقد ظلت اللغات المحلية أسلوب الفهم والتفاهم بين الجماهير، ومن حق هذه الجماهير على الإسلام وحملته، ألا تحرم من نوره، وألا تحجب عن هدايته، خصوصًا أن الإسلام للجميع، وأعترف بأننا قصرنا تقصيرًا شائنا في نقل معانى القرآن إلى العاجزين عن اللسان العربي، وأننا أسأنا بهذا إلى أنفسنا وإلى رسالتنا، والعلماء مجمعون على أن نقل هذه المعاني إلى اللغات الأخرى لا جناح فيه بل هو من صميم الدعوة العامة.([1])

(٢) الحرب على الأخلاق والقيم بحيث يصبح المسلم مسخا لا هوية له، وقد بدأ هذا الأمر مبكرا في العصر الحديث عندما بدأ الاحتكاك الحضاري بين المسلمين والحضارة الغربية فقد عمل الاستعمار الغربي على نزع المسلم من دينه وخلقه بدعوى الحداثة والتمدن الغربي، وقد فطن علماء الإسلام إلى حقيقة الحداثة الغربية، وأنها تستبطن الإلحاد فقد أدرك الجبرتي المعاصر للحملة الفرنسية هذه الحقيقة وسخر من ادعاء نابليون، أنه دخل وجنده الإسلام فيقول: "إن إسلامهم نصب، فقد خالفوا النصارى والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، وهم دهرية معطلون وللمعاد والحشر منكرون، وللنبوة والرسالة

(١) **ينظر:** ظلام من الغرب: محمد الغزالي (ص ١٣٣)، بدون ط، دار نهضة- مصر، بدون ت.

جاحدون"([1]) وعن الجانب الخلقي الذي بشرت به الحداثة الغربية عن طريق حملة نابليون يقول الجبرتي أيضًا: "وعقيدتهم السالكون فيها تحكيم العقل، وما تستحسنه النفوس بحسب الشهوات، ولا يبالون بكشف العورات مع قبحه في العقل والنقل"([2]) ويعلق الدكتور محمد عمارة (رحمه الله): على كلام الجبرتي آنف الذكر بقوله: فلم يكشف زيف دعواهم اعتناق الإسلام بالقول إنهم لا يزالون على نصرانيتهم، وإنما نفذت بصيرته إلى الطبيعة اللادينية والدهرية للفلسفة الوضعية التي تأسست عليها الحداثة التي جاءوا بها والتي اعتمدتها الثورة الفرنسية بديلا للدين واللاهوت.([3]) وقد أدرك هذه الحقيقة أيضًا رفاعة الطهطاوي، فيحدثنا عن الحداثة الغربية التي عاش تحت ظلالها ردحًا من الزمن فيقول: ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط فهم إباحيون يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب، ولذلك لا يصدقون بشيء مما في كتب أهل الكتاب لخروجه عن الأمور الطبيعية، ولهم في الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية.

أيوجد مثل باريس ديـــــــــار * شـــــــموس العلم فيها لا تغيب

ليل الكفر ليس له صـــــــــباح * أما هذا وحقكـــــــــم عجيب([4])

---

(١) **ينظر:** مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس: عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (ص٢٨)، تحقيق: د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، ط١، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (نفس الصفحة).

(٣) **ينظر:** مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحضارة الغربية: د. محمد عمارة (ص٨٧)، بحث منشور في كتاب مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٤) **ينظر:** الأعمال الكاملة: لرفاعة الطهطاوي (١٥٩/٢)، وتحقيق: د. محمد عمارة ط بيروت ١٩٧٣م.

وأنت ترى أن رفاعة الطهطاوي (رحمه الله) يفرق بين التقدم العلمي المادي والانحطاط والتراجع الخلقي الذي كانت ترتكس فيه باريس عاصمة النور!!! كما يقولون إلى الأذقان فهم قوم إباحيون يعبدون الهوى ورغم وضوح هذه الحقيقة إلا أن قطعاناً من المستغربين يصرون على أن لا نجاة للشرق وبخاصة المسلمين إلا باتباع الغرب حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل إن هذا لشيء عجاب فدعونا نتعجب كما تعجب رفاعة من قبل!

(٣) الحرب على الوحدة الإسلامية؛ لأن اجتماع المسلمين على كلمة سواء، وانضواء هذه الأمواج الهائلة من البشر تحت راية التوحيد يجمعهم الإيمان بالله رسوله (ﷺ) أمر يقلق قوي الاستعمار ويقض مضاجع خصوم الدعوة الإسلامية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الوحدة الإسلامية هي طوق النجاة لهذه الأمة من أن تتخطفها الأمم الأخرى أو تتسلط عليها وهي في الوقت نفسه شرف هذه الأمة وعزها يقول الشيخ الغزالي (رحمه الله): "الوحدة الإسلامية طريق طويل لكنه ضرورة حياة.... أرى في صدر حديثي أن أنصف الانتماء الإسلامي الذي أحرجته الليالي وألحقت به هزائم شتى! إن هذا الانتماء حقيقة شريفة القدر ممتدة الأثر، موصولة بأعظم تراث في الوجود. فالقرآن هو الوحي كله من أزل الدنيا إلى أبدها، وكل ما خالفه مبتوت الصلة بالسماء. ومحمد هو الإنسان الأولى شرف سيرة وصدق بلاغ! وهو أعلى قمة في تاريخ الأحياء. والإسلام هو المنهج الذي توارث النبيون الدعوة إليه واقتياد البشر فيه، فكيف يكون الانتماء إليه خفيض الصوت أو ذليل الجانب أو موضع الإهمال؟ وكيف تتقدمه أو ترجح عليه دعوات وطنية أو نزعات عرقية؟ إن الاستماع إلى هذه الدعوات والنزعات قطع أوصال المسلمين، وجعل الأمة الواحدة أمما متناكرة ومكن ذئاب الاستعمار العالمي من الانفراد بكل أمة والإجهاز عليها ماديا وروحيا. وما نستعيد مكانتنا ونصون رسالتنا إلا إذا صححنا انتماءنا، وأصغينا إلى قوله-

تعالى-: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء:٩٢)"(١) إن أعداء الإسلام عملوا على تمزيق الوحدة الإسلامية شرَّ ممزق إن بدعوى الخلاف السني الشيعي تارة أو التعصب المذهبي بين أتباع الطائفة الواحدة تارة أخرى بل وصل الأمر إلى إحياء العصبيات الجاهلية والعرقية والقومية لتفريق الأمة شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون، وأول ما غزت هذه الفكرة القومية العالم الإسلامي في العصر الحديث كان في عهد نابليون حيث عانت جنوده في مصر من حرب ترفع شعار (الله أكبر والعزة للمسلمين)، فلم يجد نابليون حلا لهذه الوحدة إلا أن يخرج على الناس – بواسطة العلماء المستشرقين المصاحبين لحملته على مصر – بفكرة القومية ليفتت بها وحدة الإسلامية(٢) فإن خاب هذا المسعى أو خفت حدَّته عملوا على زرع الفتنة بين أبناء الوطن الواحد مسلمين وغير مسلمين مع أن غير المسلمين تحكمهم القاعدة الفقهية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا(٣)) ما داموا مسالمين لنا ولا يأتون بشيء يضر بكيان الدعوة الإسلامية أو يؤثر على بنيانها. إن مما يجب اعتقاده وإشاعته بين المسلمين (أن العمل للوحدة الإسلامية شرف باذخ، ومجد شامخ،

---

(١) **ينظر:** سر تأخر العرب والمسلمين (ص ١٧٧، ١٧٨).

(٢) **ينظر:** الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: د. علي عبدالحليم محمود (ص١٥٦)، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة محمد بن سعود بالرياض، دار الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) فالقاعدة العامة في حقوق أهل الذمة: أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهذه القاعدة جرت على لسان فقهاء الحنفية، وتدل عليها عبارات فقهاء المالكية، والشافعية، والحنابلة، ويؤيدها بعض الآثار عن السلف، فقد روي عن علي بن أبي طالب (ﷺ)، أنه قال: «إنما قبلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا». **ينظر:** الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت (١٢٧/٧).

ويجب على العرب قبل غيرهم من الأجناس التي تكون الأمة الإسلامية الكبرى، أن يدركوا هذه الحقيقة وأن يربطوا ولاءهم بدينهم لا بجنسيتهم، وأن يستضيئوا في نهضتهم بشرائع الإسلام وشعائره، لا بالفضلات التي يلتقطونها من موائد الغرب أو الشرق.([1])

(١) **ينظر**: سر تأخر العرب والمسلمين (ص١٧٨).

المبحث الثاني
تجديد الخطاب الدعوي بين الدوافع والضوابط

المطلب الأول
دوافع تجديد الخطاب الدعوي

لاشكَّ أن التجديد خاصة لازمة من خواص دين الإسلام نبه عليها النبي (ﷺ) في قوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها(١)»، وهذا هو دليل النقل على وجوب التجديد في الدين، أما دليل العقل هو أننا إذا سلمنا أن رسالة الإسلام رسالة عامة للناس جميعا فإنها باقية وصالحة لكل زمان ومكان، وأن النصوص محدودة والحادثات لا محدودة؛ فبالضرورة لا مفر لك من إقرار فرضية التجديد آلة محتمة لاستكشاف حكم الله- تعالى- في تلك الحوادث(٢)، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن قضية عموم الرسالة تفترض ضرورة اشتمالها على ما ينفع الناس في أمور الدين والدنيا معا، بحيث تستجيب لحاجاتهم وأمور معاشهم مهما اختلفت أماكنهم وتغيرت أزمانهم وهذا يعني أن تكون شريعة الإسلام جاهزة ومستعدة بطبيعتها لتقديم حلول وصيغ معاشية متغيرة تواكب تغير الحياة وتطورها، وبحيث تنفى عن الناس الحرج الذي يولده الصراع الدائم بين الجديد والقديم(٣)، وقد أكد القرآن هذا المعنى في عديد الآيات منها قوله- تعالى-: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (البقرة: ١٥٨)، ومنها ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ**

(١) **الحديث:** سبق تخريجه

(٢) **ينظر:** مقالات في التحديد من مقدمة د. أحمد الطيب (ص ١٤، ١٥).

(٣) **ينظر:** ضرورة التجديد د. أحمد الطيب (ص ١٤٤).

حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦)، ومنها ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (الحج: ٧٨)، فبدون التجديد لا تتمكن الشريعة الإسلامية من أن تكون عالمية حقًا، ولا خاتمة حقا أي أن التجديد الإسلامي هو السبيل لتحقيق إرادة الله (ﷻ) في أن تكون الشريعة الإسلامية هي العالمية والخاتمة لرسالات وشرائع السماء، وأن تظل حجة الله على عباده قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.([1])

وهذا التأصيل العلمي لفريضة التجديد ليس من قبيل المبالغة بل يجب أن يكون معلوما لدي الكافة أن الإسلام والتجديد قرينان لا يفترقان، وصنوان لا ينفصمان وأن التجديد يسير مع الإسلام حيث سار يقول الدكتور أحمد الطيب:" إن التأمل الهادئ في طبيعة رسالة الإسلام – كبيان من الله للناس يتخطى حدود الزمان والمكان – يبرهن على أن مسلمة التجديد إن لم تكن هي والإسلام وجهان لعملة واحدة فإنها – على أقل تقدير – إحدى مقوماته الذاتية، إذا تحققت تحقق الإسلام نظاما فاعلا في دنيا الناس، وإن تجمدت تجمد وانسحب من مسرح الحياة، واختزل في طقوس تُؤدي في المساجد أو المقابر، وتمارس على استحياء في بعض المناسبات، بل يثبت هذا التأمل أن تاريخ الإسلام في – أزهي عصوره – يشهد على هذه العلاقة التي لا تنفصم بين التجديد وحيوية الإسلام، كما يشهد على العلاقة ذاتها بين الجمود وانزوائه إلى ركن قصي عن الحياة وعن المجتمع([2]) ومما يجب أن يقابل بالرفض والإنكار الدعوات التي تزعم أن التجديد يعد نقيضا لاكتمال الدين، وثباته بل إنه – أي التجديد – السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته وأصوله إلى الميادين الجديدة والأمور المستحدثة، والضمان؛ لبقاء الأصول صالحة دائمة لكل زمان

(١) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص ٧٩).

(٢) **ينظر:** ضرورة التجديد د. أحمد الطيب (ص ١٤١، ١٤٢).

ومكان أي أنه هو الضمان لبقاء الرسالة الخاتمة خالدة(١)، وأنت ترى أن التجديد ضرورة تفرضها طبيعة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان وهذا يعد دافعًا شرعيًا لتجديد الخطاب الدعوي بالإضافة إلى ذلك فإن هناك دوافع عديدة لتجديد الخطاب الدعوي يجب رصدها ودرسها وهي كالتالي:

١- إعمال العقل:

حيث إن العقل المؤهل يجب أن يقوم بدوره، ويؤدى رسالته على أكمل وجه، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا تفاعل العقل مع النص المؤسس تدبرًا وتنظيرًا ومع الواقع إدراكًا وتطبيقًا فتحفيز العقلية المسلمة على المشاركة بفاعلية في مختلف مناشط الحياة وفاعليتها، والتأكيد على حتمية الحضور الواعي للإنسان في بناء مجتمعه وصياغة شكله المطلوب في المرحلة الحضارية الراهنة وهذا أمر من شأنه أن يقضى على السلبية واللامبالاة، والخنوع والطاعة العمياء غير المبررة في مجتمعاتنا(٢) هذا في جانب الوعي بالواقع، أما في جانب إدراك النص، فليس من العدل والإنصاف أن نطلب من أحد أن يأخذ بفكر من سبقه من غير مناقشة أو إبداء رأى خاصة إذا كان أهلًا لذلك وما ذلك إلا تعطيل لوظيفة العقل، ومازال علماؤنا يناقشون آراء من تقدهم فتارة يؤيدونها، وتارة يردونها، وتارة يضيفون إليها، ولم يعب أحد عليهم هذا الصنيع وكل ذلك يتم بحثًا عن الحق والحقيقة(٣)، ومما يؤيد هذا ويقويه ما قاله ابن حجر الهيتمي في بيان ما كان عليه علماء الشافعية من التفاعل مع كلام إمامهم حيث يقول: "فلا ينافيه قول كثيرين من أصحابنا اتبعنا الشافعي (رحمه الله) دون غيره لأنا وجدنا قوله

(١) **ينظر:** مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية د. محمد عمارة (ص ٦٨، ٦٩).

(٢) **ينظر:** ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي أحمد أبوجمعة مراني (ص ٢٠١).

(٣) **ينظر:** ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي د. خالد عبدالله الشعيب (ص ٩٩).

أرجح لا أنا قلدناه أي في كل ما ذهب إليه بل وافق اجتهادنا اجتهاده في كثير من المسائل([1])، وأنت ترى أن مناقشة أتباع مدرسة فقهية لقول إمامهم تأييدًا أو تعديلًا أو مخالفة أمر استقر عليه العلماء وساروا عليه دون نكير من أحد أيصح بعد هذا أن نصغي لهذه الصيحات الناعقة التي تريد أن تصادر العقل وتلغي عمله بدعوي الجمود على المنقول عن الأئمة، ولا تسمح للعقل المؤهل أن يمارس دوره بكل حرية ويسر إن هذا لشيء عجاب؟!، إن التجديد الذي به خلاص هذه الأمة، لا أمل فيه ولا رجاءً في تحققه إلا إذا أعيد العقل من جديد إلى عرشه الذي أنزلته عنه مخاوف الخائفين وهواجس المرتابين الذين يحسبون كل صيحة عليهم.([2])

٢- **تطور الحياة:**

حيث إن طبيعة الحياة متطورة ومتغير ة فلم تعد الحياة بدائية كما كانت من قبل بل تطورت تطورًا هائلًا لم يتوقف عند حد ولم ينته إلي نهاية وهذا أمر أشار إليه القرآن قال- تعالى-: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الأنفال: ٥٣) وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: ١١)، فمن اكتحلت عينه بنور الإيمان، وتنور قلبه بسطوع آيات القرآن يجد أعيان العالم متبدلة وتعيناتها المترادفة متزايلة خلقًا من بعد خلق، وطورًا من بعد طور سايرة، سايلة إلي طريق الآخرة متوجهة إلي الله راجعة إليه.([3]) فالكون دائب بالحركة التي تنتقل بالكون

---

(١) **ينظر:** الفتاوى الفقهية الكبرى الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (٣٠٢/٤)، جمعها/ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، بدون ط، المكتبة الإسلامية، بدون ت.

(٢) **ينظر:** تجديد الفكر الإسلامي (ص٤٢).

(٣) **ينظر:** مفاتيح الغيب (ص ٤٢٦).

من طور إلى طور قال –تعالى–: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ (النمل:٨٨) وقال: ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ (ق: ١٥) وقال أيضًا: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ**﴾ (يونس: ٢٤) يقول الشيخ محمد رشيد رضا في معنى هذه الآية: أي حتى كانت الأرض بها في خضرة زروعها السندسية، وألوان أزهارها الربيعية، كالعروس إذا أخذت حليها من الذهب والجواهر، وحللها من الحرير الملون بالألوان المختلفة ذات البهجة، فتحلت وازينت بها استعدادًا للقاء الزوج – ولا تغفل عن حسن الاستعارة في أخذ الأرض زينتها، حتى كان استكمال جمالها، كأنه فعل عاقل حريص على منتهى الإبداع والإتقان فيها(١)، ولو نظرنا إلى واقع أمتنا الإسلامية اليوم في الشرق والغرب، لرأينا كما هائلا من الأعراف والعادات التي حدثت فيها بعد القرون المشهود لها بالخيرية، ولواجهنا كما كبيرًا من البدع والمحدثات تشوي معاملاتنا وأخلاقنا، بل هناك الكثير من الانحرافات عن الصراط المستقيم في مجال العقيدة والعبادة والمعاملات والسلوك العام مما يوجب على العلماء والدعاة الربانيين من أئمة التزكية والتهذيب أن يقوموا بواجبهم في الدعوة والإرشاد والتقويم، مبتكرين شتى الوسائل لعلاج ضعف الأمة وتقويم مسارها على منهج السلف الصالح وهذا العمل هو التجديد بعينه.(٢)

ومما سبق يتضح أن التجديد من مقتضيات تطور الحياة والمجتمعات (ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن التجديد والابتكار هما ركنا التطور إذ التطور لا يأتي

---

(١) **ينظر:** تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد بن علي رضا(٢٨٤/١١)، بدون ط، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٠م.

(٢) **ينظر:** ضرورة التجديد الحدود والضوابط الشيخ إبراهيم صالح الحسيني (ص ١٨٢)، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

من فراغ، وإنما هو نتيجة لدراسة الآراء والأفكار وأخذ الصالح المفيد منها مع إضافة رؤى أخرى عليها فيتولد من ذلك فكر نير تسترشد به الأمة في مسيرتها،(١) وبدون هذا فإن الأمة تفقد حيوتها، وتتلاشى فاعليتها لأنَّها فقدت المحرك المعرفي الذي يدفعها إلى الأمام، والمشعل الذي ينير لها الطريق، ويهديها السبيل.

٣- الدافع الحاجي:

حيث إن الإنسان كائن حي له حاجات متعددة، وهذه الحاجات تختلف من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، ومهمة الفكر الأساسية هي تلبية حاجة الإنسان وهي مقياس نجاحه، فكلما كان الفكر ملبيا لحاجة الإنسان المشروعة كلما كان فكرًا ناجحًا والعكس بالعكس، فالفكر الناجح هو الفكر الذي يلبي حاجات الإنسان المشروعة المتجددة مهما اختلفت العصور أو الأمكنة بقابليته للتجديد(٢) والخطاب الدعوي لابد له من مساوقة العصر، وأن يكون مغذيًا لفطرية التدين التي فطر عليها الإنسان بحيث يكون مشبعًا ومقومًا في نفس الوقت للأبعاد الثلاثة في الإنسان البعد العقلي، والبعد الوجداني، والبعد الخلقي السلوكي.

٤- اتساع رقعة الإسلام:

فقد اتسعت الأقطار الإسلامية وتعدد الداخلون في الإسلام في أفكارهم وأعرافهم، ونظمهم، وقد تغير الزمان ويأتي كل يوم بجديد من أنظمة وأعراف لم تكن معروفة، وقد تكون ضرورية لهم، وأن مصالحهم لا تستقيم بدونها، فالإسلام لا يضيق ذرعًا ولا بما فيه مصلحة...، فالتشريع الإسلامي إنما هو

---

(١) **ينظر:** ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي د. خالد عبدالله الشعيب (ص ٩٩).

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (ص ٩٣).

لجلب المصالح ودفع المضار(١)، فإذا كان التجديد في الفقه ضرورة يفرضها اتساع ديار أهل الإسلام لمواجهة الظروف التي تقتضيها بيئاتهم فإن تجديد الخطاب الدعوي على نفس القدر من الضرورة، إذ كيف يكون الخطاب الدعوي التقليدي مؤثرًا في بيئات متعددة الأعراق، مختلفة الثقافات، متباينة الرؤى والتطلعات؟ فإن لم يمس الخطاب الدعوي بيئة المدعو بغية علاجها وإنهاضها فسيكون عديم الجدوى قليل الفائدة.

٥- <u>التقصير في الجانب الدعوي</u>

فقد قصّر كثير من المسلمين في القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتصورهم الدعوة وظيفة طبقة مخصوصة من العلماء والمتخصصين فيها؛ تنحصر فيهم ولا علاقة لهم بها مما أضعف الدعوة وحجب عنها كثيرا من أبنائها".(٢)

وهذا التقصير كانت له عواقبه الوخيمة على حاضر الدعوة الإسلامية ومستقبلها "فبهوان أمر الدعوة لدي المسلمين، خصوصًا في فترات الانكسار من تاريخهم، اضطرب ميزان الخير والشر، ثم استفحل الخطر فأمسى الضلال يركض في كل ناحية لا يجد عائقا ولا ساخطًا، وبذلك ركدت ريح الدعوة إلى الله، وكادت معالمها تضمحل في سطوة الفساد. الحقيقة المرة أن أمة الدعوة إلى الله فرطت في جنب الله، ولم تخلف رسولها العظيم في طبيعة الإشعاع والإسعاد التي اقترنت ببعثته، والتي جعلت منه (ﷺ) صبحًا يجتاح الظلمات بجيش من السنا لا آخر(٣)".

وما دري هؤلاء أن الدعوة مسؤولية الأمة كلها قال- تعالى-: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾

---

(١) **ينظر**: الأساس الإسلامي للتجديد وضوابطه: الأمين عثمان الأمين مفتي إيرتريا (ص ١١٣)، وهو بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي.

(٢) **ينظر**: المدخل إلى علم الدعوة (ص ٣٥٣).

(٣) **ينظر**: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: محمد الغزالي (ص٤٥)، ط١، دار نهضة مصر، بدون ت.

(آل عمران: ١١٠)، وقال أيضًا: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ (يوسف: ١٠٨) وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو (رضي الله عنهما) أنَّ النبيَّ (ﷺ) قالَ: «بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ، ومَن كَذَبَ عليَّ متَعمِّدًا؛ فلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النارِ»(١).

٦- **حالة الركود والتراجع التي يعاني منها الخطاب الدعوي المعاصر:**

حيث تمثل الوسائل والأساليب التقليدية للخطاب الدعوي مساحة كبرى منه مما أدى إلى انزوائه وانعزاله عن موائمة العصر، الأمر الذي يدفعنا دفعًا إلى إرساء خطاب دعوي يوائم العصر، ويتصالح مع وسائله، فلننطلق بلا مخاوف ولا شكوك نجدد الفكر، ونغني الرؤية بكل ما هو جديد، ونطور خطابنا الديني حتى يلقى آذانا سامعة وقلوبا واعية، ونمارس الاجتهاد الفقهي في جسارة وثقة، ولنذكر أن البديل الوحيد لهذا أن نبقى حيث نحن قانعين بالتبعية والتخلف، تمر بنا مواكب الأمم والشعوب، تحمل القيادة، وتمارس السيادة، ونحن نكتفى بإعلان السخط والرفض والإنكار.(٢)

٧- **تعدد الخطابات المنتسبة للدعوة وتعدد منطلقاتها:**

مما انحرف بالدعوة الإسلامية التي هي في جوهرها دعوة عالمية ربانية إلى أن تصبح دعوة إلى حزب أو تيار معين بله أشخاصًا معينين وهذا داء عضال ومرض فتَّاك أصاب الخطاب الدعوي المعاصر فأوجد حالة من الارتباك في المشهد الدعوي الأمر الذي يجعل المسؤولية عظيمة، والتبعة ثقيلة في إزالة هذا الزبد الذي تكاثر فغطى وجه الدعوة الإسلامية السمح؛ وتبني خطاب دعوي جامع يعبر عن حقيقة هذه الدعوة، وعن عالمية هذه الرسالة.

---

(١) **الحديث:** أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن (١٧٠/٤) رقم (٣٤٦١).

(٢) **ينظر:** تجديد الفكر الإسلامي (ص٤٥ ، ٤٦).

٨- **الاكتفاء بجانب واحد من جوانب الدعوة الإسلامية والتعصب له:**

لقد قصر بعض الدعاة مفهوم الدعوة على عنصر واحد من عناصرها ودعوتهم إلى العمل به وحده؛ وإنكارهم على من يعمل بالعناصر الدعوية الأخرى؛ فالدعوة عند بعضهم تبليغ فقط،أو تعليم، أو سياسة مما أثر في إضعاف الدعوة وتشويه جمالها وشمولها من جهة، وأوقع بعض الدعاة من النيل من بعضهم وتوجيه النقد لغيرهم بسبب ذلك من جهة أخرى.([1])

٩- **الغفلة عن أهمية الدعوة والتقليل من أهمية تجديد الخطاب الدعوي:**

فقد غفل كثير من الدعاة والعلماء عن حقيقة علم الدعوة وأصل نشأته وحاجة الناس إليه، وظن كثير منهم إمكان الاستغناء عنه بالعلوم الأخرى ونظرتهم إلى التخصصات الدعوية بأنها تخصصات محدثة لا حاجة إليها فالدعوة عند بعضهم وعظ وخطابة...، فأصبحنا نرى في الأمة المسلمة كثيرا من العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية المتنوعة لا يحسنون الدعوة ولا يفقهونها، وكثير من العاملين في صنوف الدعاة يدعون على جهل ويعملون على غير هدي([2]).

(١) **ينظر:** المدخل إلى علم الدعوة (ص ٣٥٤).

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (ص ٣٥٤، ٣٥٥).

المطلب الثاني
ضوابط تجديد الخطاب الدعوي

إن تجديد الخطاب الدعوي عملية خطرة ودقيقة تحتاج إلى عقلية واعية، ونفسية سامية، وهمة عالية، وإيمان راسخ، وهدف واضح، وبصر بالوحي، وبصيرة بالواقع، وسبر للوقائع، فلا تخضع عملية التجديد للعواطف، ولا تسير حسب الأهواء إنما تتحدد معالم التجديد وفق ضوابط صارمة لا يجوز إهمالها أو الخروج عليها، وإن لم تراعى هذه الضوابط سيصبح التجديد مطية يمتطيها أهل الأهواء للوصول إلى مآرب ينكرها الشرع ولا يقرها العقل، وحول الرؤية الكلية التي يجب أن تتم في إطارها عملية التجديد يقول الشيخ محمد الغزالي: ماذا يعني التجديد في الدين إن لم يكن يعنى التغيير؟ ومن هو المجدد في نظركم؟ كلمة التجديد تحتاج إلى ضبط، فإذا كان المقصود بالتجديد إعادة الإسلام إلى ما كان عليه بغسله من الشوائب التي علقت به، فهو تجديد محمود، وإذا كان المقصود بالتجديد الإتيان بقطع غيار أخرى من أنظمة أخرى لكي تحل محل أنظمة معطوبة عندنا فهذا مرفوض، فالإسلام دين اكتمل وتم فيه كل شيء بإرادة الله(١): ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(الأنعام: ١١٥) ولذا فإن ضوابط عملية التجديد كما يلي:

١- المرجعية الإسلامية القرآن والسنة

لأن الإسلام بالنسبة للمسلم روحه التي بها يحيا ولحمه ودمه وعصبه الذي به يقوي ولذا يجب التسليم والإذعان، والاتفاق على المرجعية الإسلامية، وأساس المشروعية الفكرية التي يتم في إطارها كل اجتهاد أو تجديد وهى مرجعية الوحي؛ المباشر منه في كتاب الله- تعالى- وغير المباشر في الثابت

(١) **ينظر:** مقالات الغزالي محمد الغزالي (١٥٥/٣).

من سنة رسول الله (ﷺ) ويلحق بذلك ما أجمع عليه المجتهدون من أمته (ﷺ)(١) وهذا الضابط هو الأصل في عملية التجديد حتى لا يكون التجديد تبديدًا، أو أن يكون معول هدم يستهدف هوية الأمة و ثوابتها، ومن ثم، فالتجديد لا يكون حقيقيًا إلا إذا استصحب ثوابت هوية الأمة؛ وفي مقدمة مكوناتها الدين واللغة والتاريخ- وجدَّد وطور في المؤسسات والنظم في الفقه الذي يواكب المستجدات فهو جامع بين سلفية العودة للمنابع والأصول الإسلامية التي يفقهها بعقل معاصر وبين عصرية الواقع المعيش واستشراف المستقبل(٢)، فهي – أي عملية التجديد – محافظة بالنسبة لمجال المعتقدات وما تقوم عليه من مبادئ سماوية خالدة وتقاليد راسخة وقيم عريضة، وترفض البدع، يقول- تعالى-: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ **(الحشر: ٧) وقال- تعالى-:** ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (آل عمران:٣١) وحذر (ﷺ) من محدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وإذا كانت التربية الإسلامية تحافظ على الأصول العقلية والتشريعية، فإنها تدعو إلى التجديد من أجل الوفاء بمطالب الحياة المتغيرة في كل عصر، بشرط الالتزام بالأصول العامة.(٣)

هذه الثنائية وهى الجمود على الثوابت، والتجديد في المتغيرات هي عصب عملية التجديد فإذا كان التجديد يأتي بالجديد في المتغيرات، فإنه في الثوابت يقف عند جلاء، وإجلاء البدع والخرافات وركام الزمن عند هذه الثوابت لتعود لفعلها وفاعليتها من جديد.(٤)

---

(١) **ينظر:** قول في التجديد (ص ٣٦).

(٢) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص ٧٩).

(٣) **ينظر:** بناء المجتمع الإسلامي (ص ١٤٠، ١٤٢).

(٤) **ينظر:** المرجع السابق (ص ٨٠).

إن تيار الجمود يزعم أن التجديد خروج عن ثوابت الأمة وكأننا نملك رفاهية التجديد من عدمه، وما درى هؤلاء أن التجديد ضرورة لا مناص منها فبها تكون الدعوة أولا تكون ومع ذلك، فإننا نستمع بعقول مفتوحة وقلوب صافية إلى كل ما يقول دعاة الجمود على الموجود وإلى ما ينبهون إليه من محاذير الاندفاع وراء دعوات التجديد بل إننا ننبه إلى هذه المحاذير كما ينبهون، ولكنا نضعها في إطارها الصحيح وفي إطار الغاية من التذكير بها، وهي أن يظل التجديد تجديدًا في فكر المسلمين وتطويرًا له، لا خروجًا علي شيء من ثوابت الإسلام ولا تحريفًا لأحكامه، وانفلاتًا من مبادئه وقيمه(١)، ومن ثم وجب التسليم والإذعان والقبول لأصوله القطعية، وثوابته المرعية، وقيمه الحاكمة السنية ومن ثم، فلا يمكننا أن نصف رأيًا يبيح نكاح المحرمات، أو يسوي في الميراث بين البنين والبنات، أو يتناقض مع نصوص قطعية الثبوت والدلالة، أو يخرج تماما عما أجمع عليه علماء الأمة بأنه اجتهاد شرعي أو تجديد إسلامي، وإلا قطعنا الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها، وأسبغنا وصف ‹‹الإسلامية›› على ما يخالف أصول الإسلام نفسه وما أحسب أن مفكرًا يحترم العقل، ومبادئ التفكير السليم يدعي مثل هذا إلا المجازفين بالقول دون أي منهج أو أثارة من علم أو منطق صحيح(٢) وقد نبه الإمام الشاطبي إلى أن مخالفة الثوابت بدعوي أن العقول لا تستسيغها مسلك من مسالك أهل الأهواء والبدع فيقول: ومنها ردهم للأحاديث التي جاءت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها؛ كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله (ﷻ) في الآخرة...، وما أشبه ذلك من

(١) **ينظر**: تجديد الفكر الإسلامي (ص ٤٥).

(٢) **ينظر**: قول في التجديد (ص٣٦)، ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي (ص١٠٥).

الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول([1]) إن الإسلام دين تام لا نقص فيه، وكامل لا يحتاج إلي غيره قال- تعالى-: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (المائدة: ٣).

ولذا فالإسلام غني عن كل تحسين، وإن كل تغيير في مثل هذه الحال يطرأ على مدركاته وعلى تنظيمه الاجتماعي بافتئات من ثقافة أجنبية - ولو بإشراق ضئيل- سيكون مدعاة إلى الأسف الشديد وسترجع الخسارة حتما علينا نحن([2]) لأننا حينئذ نكون قد فقدنا هويتنا، واستقلاليتنا، واتبعنا كل ناعق (وعلى هذا فكل دعوى لتغيير القيم الثابتة، أو الأسس الإسلامية الثابتة، باسم التجديد أو الإصلاح أو التطور.. دعوى معادية للجنس الإنساني تقف حائلا دون الازدهار الحضاري، والوعي الديني، والتقدم الراقي في أسلوب الحياة والمعاش.. ذلك لأن الثقافة الإسلامية تدعو إلى الحركة وإلى البناء وتنهى عن الجمود وعن الكسل والتواكل والتخلف والتقصير، ولو نظرنا إلى الكون لوجدناه في حركة دائمة وفي تغير دائم. ولكنه يتحرك مع المحافظة على حقيقته الأصلية.. وعلينا نحن المسلمين أن نعمل وأن نجد وأن نجتهد وأن نرتقي في أسباب الكمال والتقدم. مع المحافظة على شخصيتنا الإسلامية وعلى أصالتنا التاريخية وعلى قيمنا النبيلة وعلى عقيدتنا الإلهية. وأية دعوة للانسلاخ عن مبادئنا دعوى هدامة عدائية.. فلنقدر مسئوليتنا تجاه أنفسنا وتجاه البشرية كلها([3])) ويلخص الأستاذ الإمام محمد عبده الدور المحوري للمرجعية الإسلامية في أي عملية تجديدية للفكر الإسلامي أو الخطاب الدعوي وبدون المرجعية الإسلامية فكأنما نضرب

---

(١) **ينظر:** الاعْتِصَام (٣٣/٢).

(٢) **ينظر:** الإسلام على مفترق الطرق ترجمة عمر فروخ (ص ١٠٩).

(٣) **ينظر:** أضواء على الثقافة الاسلامية: د. نادية شريف العمري (ص ٢٩)، ط٩، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ضرب عمياء، ونخبط خبط عشواء فيقول: (لقد أشربت أنفس الأمة الانقياد إلى الدين حتى صار طبعا فيها فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التي أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه([1])) قال- تعالى-: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾ (الأعراف: ٥٨)، ويجب التنبيه هنا إلى أن المرجعية للقرآن والسنة وليس للتراث الإسلامي بل يجب (أن ننطلق من القرآن والسنة ثم ما يتناسب ومفاهيم العصر من كنوز التراث بعد ذلك وليس المطلوب – بطبيعة الحال – خطابًا شموليًا لا تتعدد فيه الآراء ولا وجهات النظر فمثل هذا الخطاب لم يعرفه الإسلام([2]) وإن كنا في عملية التجديد لا بد أن نستصحب المجمع عليه من قضايا التراث الإسلامي، وأن نتجنب التلفيق بين المذاهب، وأن نبتعد عن الآراء الشاذة التي انفرد بها أصحابها دون دليل.([3])

٢- <u>المرجعية اللغوية «اللغة العربية »</u>

حيث إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وقد صرح بهذه الحقيقة القرآن نفسه يقول- تعالى-: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ (ص ١٩٣: ١٩٥) والسنة النبوية تكلم بها من أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصار (ﷺ)، وقد عقد الإمام الشاطبي بابًا بعنوان: «في مأخذ أهل البدع بالاستدلال» بين فيه أن الخروج علي قواعد اللغة العربية خروج على الشريعة نفسها فيقول: "ومنها تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين، مع العرو عن علم العربية الذي به يفهم عن الله

(١) **ينظر:** الإسلام والتحديات المعاصرة (ص ٢٦).

(٢) **ينظر:** مقالات في التجديد (ص ٢٠) بتصرف يسير.

(٣) **ينظر:** ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي (ص ١٠٦).

ورسوله، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك"(١) وأنت ترى أن مرجعية اللغة العربية أصول من أصول التجديد يمتنع تجاوزه أو الخروج عليه وفي هذا المعني يقول الدكتور حسن الشافعي: "وألزم الضوابط التي تفرض نفسها على أية محاولة للتجديد، أو التأويل لهذه النصوص: اتباع أساليب العرب في الخطاب، ومناهجها في التعبير والتصوير، والدلالة على المعاني – أمرًا ونهيًا وإثباتًا ونفيًا، وتخصيصًا وتعميمًا، وصلًا وفصلا، حقيقة ومجازًا- مع تفقه في أسرار ذلك كله وأساليبه المتنوعة في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله (ﷺ) حتى لا تزل القدم، أو يتحكم الهوى عن جهل وسوء نية(٢).

٣- <u>المرجعية الأصولية «أصول الفقه وقواعده[٣]»</u>

فيجب على المجدد أن يحتكم إلى القواعد الشرعية الأصولية لأنها قواعد قطعية ثابتة بالاستقراء أو راجعة إلى أصول عقلية وكلا الأمرين قطعي يقول الإمام الشاطبي: إن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية، والدليل على ذلك أنها راجعة إلى كليات الشريعة، وما كان كذلك؛ فهو قطعي. بيان الأول ظاهر بالاستقراء المفيد للقطع، وبيان الثاني من أوجه: (أحدها): أنها ترجع إما إلى أصول عقلية، وهي قطعية، وإما إلى الاستقراء الكلي من أدلة الشريعة، وذلك قطعي أيضا، ولا ثالث لهذين إلا المجموع منهما، والمؤلف من القطعيات

---

(١) **ينظر:** الاعْتِصَام للشاطبي (٤٧/٢).

(٢) **ينظر:** قول في التجديد (ص ٣٧).

(٣) **ينظر:** المرجع السابق (ص ٣٧)، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية د. على جمعة محمد عبد الوهاب (ص ٣٣٧)، ط٢، دار السلام – القاهرة الطبعة – ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

قطعي، وذلك أصول الفقه([1])، بل إن الشاطبي يري أن المقدمات المستعملة في هذا العلم قطعية فيقول: إن المقدمات المستعملة في هذا العلم والأدلة المعتمدة فيه لا تكون إلا قطعية؛ لأنها لو كانت ظنية لم تفد القطع في المطالب المختصة به، وهذا بين، وهي:

– إما عقلية؛ كالراجعة إلى أحكام العقل الثلاثة: الوجوب، والجواز، والاستحالة.

– وإما عادية، وهي تتصرف ذلك التصرف أيضًا؛ إذ من العادي ما هو واجب في العادة أو جائز أو مستحيل.

– وإما سمعية، وأجلها المستفاد من الأخبار المتواترة في اللفظ، بشرط أن تكون قطعية الدلالة، أو من الأخبار المتواترة في المعنى، أو المستفاد من الاستقراء في موارد الشريعة([2])، وإذا كانت مقدمات هذا العلم وقواعده قطعية الثبوت والدلالة، فلا يسوغ لمجتهد أن يغفل تلك القواعد الأصولية، ويفسر النصوص، ويجتهد في النوازل بما يناقضها أو يخالفها ويسمي عمله تجديد إسلاميًا؛ لأنه حينئذ يخرج على أحكام الشرع نصًا أو روحًا وربما انتهى به الأمر إلى التأويل الباطل، أو التحريف الغالي، أو أن يلصق بالدين ما ليس فيه وهو الانتحال.([3])

٤ – <u>المرجعية الموضوعية</u>

ويقصد بها النظر في نصوص الوحي قرآنا وسنة المتعلقة بالموضوع الواحد فلا يتعلق بنص واحد، ويغض الطرف عن سائر النصوص فإن هذا من شأنه أن يوجد أحكاما متعاندة، وآراء متناقضة، وقد بين الإمام ابن كثير بأن الموضوعية هي السبيل الأوحد لفهم الكتاب والسنة فقال: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر،

(١) **ينظر:** الموافقات (١/١٧: ١٩).

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (١/٢٥).

(٣) **ينظر:** قول في التجديد (ص ٣٨).

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله): كل ما حكم به رسول الله (ﷺ) فهو مما فهمه من القرآن. قال الله- تعالى-: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ (النساء: ١٠٥)، وَقَالَ- تَعَالَى-: ﴿**وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزل إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل: ٤٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (النحل: ٦٤)، ولهذا قال رسول الله (ﷺ): ‹‹ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه››(١) يعني: السنة(٢)، وقد عاب القرآن على قوم لم يسلكوا هذا المسلك ولم يجعلوا من الموضوعية مرجعًا لهم قال- تعالى-:﴿**كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ *الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ (الحجر: ٩٠: ٩٢) يقول ابن عباس (رضي الله عنهما) في معني هذه الآية: «هم أهل الكتاب، جزؤه فجعلوه أعضاء، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه(٣)» ويؤيد هذا المعنى قوله- تعالى- في شأن اليهود ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة: ٨٥)، وأنت ترى الإنكار على الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؛ أي: يعملون ببعضه على أنه دين ويتركون بعضا بتأويل أو غير تأويل، كشأن من لم يصدق بأنه

---

(١) **الحديث:** رواه الإمام أحمد في المسند (١٣١/٤) وأبو داود في السنن عن المقداد بن معد كرب برقم (٤٦٠٤).

(٢) **ينظر:** تفسير القرآن العظيم (٧/١).

(٣) **ينظر:** جامع البيان عن تأويل أي القرآن الإمام محمد بن الطبري(١٢٩/١٤)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

من الله، فوجوب أخذ القرآن والدين بجملته، وفهم هدايته من مجموع ما ثبت عمن جاء به أمر مقرر في ذاته.(١)

إن غياب الموضوعية في البحث عن الحقيقة بله في أي عملية تجديدية كانت أحد الأسباب الرئيسية في الانحراف والزيغ عن الصراط السوي فإن أصحاب المقالات والمذاهب الذين جعلوا القرآن عضين، فلم يأخذوه بجملته ويفسروا بعضه ببعض بل نظروا في كل جملة على حدتها، وحاولوا حملها على مقالاتهم كالمرجئة والمعتزلة والخوارج وغيرهم(٢) يدل على ذلك ما يتمسك به بعضهم بدعوي الالتزام من حرمة القيام لأهل الفضل فيصافحهم وهو جالس لحديث سمعه يتصل بذلك دون أن يلم بالأحاديث الأخرى التي أباحت القيام بل أمرت به أحيانا وأسوأ من ذلك وأشد عندما يتعلق الأمر بعقائد الناس ودمائهم، ومثال ذلك ما وقع فيه الخوارج من تكفير أهل السابقة في الإسلام لسوء فهم منهم لقوله: (ﷺ) «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٣) غافلين عن قول الله- تعالى-: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** (الحجرات: ٩).

٥- <u>المرجعية الواقعية «إدراك الواقع»</u>

ويقصد بها إدراك الواقع إدراكا حقيقيا؛ لأنه كما سبق البيان أن القصور في تصور الواقع، والتقصير في تحصيل صورة مكتملة الأركان عنه يعد معوقا كبيرًا من معوقات تجديد الخطاب الدعوي؛ ولذا فالواقعية في تصور الواقع تعد

(١) **ينظر:** تفسير القرآن الحكيم (٢٠٦/٢).

(٢) **ينظر:** المرجع السابق (١٢٢/٥) بتصرف يسير.

(٣) **الحديث:** رواه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (١٩/١) حديث رقم (٤٨).

ضابطا مهما من ضوابط تجديد الخطاب الدعوي إذ كيف يخاطب الداعية مدعوين يجهل حالهم، ولا يعرف واقعهم؟ (فإذا كان حديث الداعية، وكلامه خاليًا من الدليل مجردًا من الواقعية يغلب عليه الحشو والعبارات الجوفاء المنمقة، فلا تدخل إلى القلب ولا تؤثر في نفوس المستمعين ولا الحاضرين([1])، وهذه الواقعية لن تتأتي إلا بعمل مؤسسي يقوم عليه جملة من الخبراء يدرسون الواقع في أقطار المسلمين كافة، ويدرسون أيضا واقع الجاليات الإسلامية في بلاد غير المسلمين، ويتوافرون على فهم المشكلات الواقعة، والنوازل المتجددة التي يواجهها المسلمون في بلادهم المختلفة، وظروفهم المتفاوتة في حياتهم المعاصرة؛ فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وكيف يحكم المرء على ما يجهل أو ما لا يلم به إلمامًا جيدًا بحقيقته وظروفه([2])) فهذه مرجعيات خمس هي بمثابة القواعد الحاكمة والضوابط الصارمة التي يجب أن تهيمن على تجديد الخطاب الدعوي حتى يكون تجديدًا فاعلًا يفيد الدعوة وينقذ الأمة.

(١) **ينظر:** دليل الداعية ناجي بن دايل السلطان (١١٣)، ط١، دار طيبة الخضراء، بدون ت.

(٢) **ينظر:** قول في التجديد (ص٤٠).

الخاتمة

إن تجديد الخطاب الدعوى ضرورة ملحة، يفرضها الدين نفسه ذلك؛ لأن الإسلام هو الدين الخاتم، فلا دين بعد دين الإسلام، ولا نبي بعد سيدنا محمد (ﷺ)، كما يفرضها الواقع الدعوي المتسع المتصف بعدم ديمومته، ولكن تجديد الخطاب الدعوي تعترضه جملة من العوائق تحول بينه وبين أن يتبوأ مكانته اللائقة به، وهذه العوائق منها عوائق تتعلق بفهم الوحي قرآنا وسنة والعلوم الخادمة لهما، فقد ابتُليت الأمة بطائفة من الحرفيين الذين يجمدون على ظواهر النصوص، ويقيمون من أفهامهم لتلك الظواهر معايير للحق والباطل، فمن وافقهم فهو على الحق المبين، ومن خالفهم فهو على الباطل بيقين، بالإضافة إلى الغلو في تقديس التراث وهو جهد بشري لنا أن نأخذ منه وندع حسبما يتفق مع واقعنا الدعوي، وهذا التقديس للتراث استنفذ الجهد والطاقة، فلم يلتفت الدعاة إلى الدراسة المستفيضة لعلم السنن الإلهية، ومن ثم فقد قصر الدعاة تقصيرا بينا في دراسة السنن الإلهية، وهذا من شأنه أن يجعل الداعية يخطو بدعوته خطوات غير مدروسة.

أما عن العوائق المتعلقة بالواقع الدعوي فكثير ة جدًا أهمهما التصور الجزئي للواقع الدعوي، واستصحاب العلل الثقافية التي كانت سائدة في عصور مضت، وهى علل أصابت واقع المسلمين الثقافي بالشلل من مثل القول بالجبر، والتحقير من الحياة الدنيا في الخطاب الدعوي، والتقعر في دراسة ما وراء الطبيعة الخ.

وأما عن دوافع تجديد الخطاب الدعوي فهي كثيرة جدًا منها إعمال العقل، والتطور المستمر للحياة، وتعدد وتجدد الحاجات التي يحتاجها الإنسان، وتعدد الخطابات المنتسبة للدعوة وكل منها يريد أن يصادر الخطاب الدعوي لصالحه، وغفلة كثير من الدعاة عن علم الدعوة، والتعصب لجانب واحد من جوانبها، والغفلة عن الجوانب الأخرى.

وأما عن ضوابط تجديد الخطاب الدعوي فهو بيت القصيد من هذا البحث حتي تتم عملية التجديد في إطارها الصحيح، ومن ثم فإن اعتماد المرجعية الإسلامية في نصوصها المقدسة قرآنا وسنة هو قطب الرحى في عملية التجديد، فلا يتوهمن متوهم أن عملية التجديد من الممكن أن تتم بعيدا عن روح الإسلام ونوره، وأصول الإسلام وفروعه مفهوما في لغته العربية التي تنزل بها من عند المولى (ﷻ) في إطار من القواعد الأصولية المستقرة لأنها قواعد قطعية؛ فلا يمكن الخروج عليها بحال، ولا ننسى في هذا المقام أن نلقى باللائمة على الذين جعلوا القرآن عضين يؤمنون ببعضه وينكرون بعضه الآخر، ولذا فلا بد من المرجعية الموضوعية مع اعتبار الواقع حتى تتنزل نصوص الوحي في منازلها الصحيحة ؛ فلا يكون ثمة تنافر متوهم بين الوحي والواقع وبهذا تنهض عملية تجديد الخطاب الدعوي على أسس راسخة، وأصول قاطعة، ومعرفة واسعة ومن ثم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ومن التوصيات التي أراها مفيدة دراسة الموضوعات الأتية

١- أثر الخطاب الدعوي المعاصر في مقاومة الانحراف الفكري.

٢- المقاصد الدعوة والشريعة.

٣- الخطابات المنتسبة إلى الدعوة الإسلامية دراسة تقويمية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

تم إنجاز هذا البحث في يوم الخميس ١٤/ جمادي الأولى ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/١٢/٨م والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله.

المصادر والمراجع:

١- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستِشراق - الاستعمار: لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، الدمشقي ط٨، دار القلم - دمشق، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، بدون ط، دار المعرفة - بيروت، بدون ت.

٣- الأساس الإسلامي للتجديد وضوابطه الشيخ الأمين عثمان الأمين مفتي إيرتريا وهو بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي.

٤- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي علي محمد جريشه - محمد شريف الزيبق، ط٣، دار الوفاء ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦- الإسلام والتحديات المعاصرة: د. محمد عمارة، ط٢، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

٧- الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية: محمد عبده، بدون ط، مطبعة محمد على صبيح- القاهرة، ١٩٥٤م.

٨- أضواء على الثقافة الاسلامية: د. نادية شريف العمري، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٩- الاعتِصَام: لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١١- الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي دارسة وتحقيق: د. محمد عمارة ط بيروت ١٩٧٣م.
١٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
١٣- أنوار البروق في أنواء الفروق: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، بدون ط، عالم الكتب، بدون ت.
١٤- أهمية الدعوة اللواء الركن محمود شيت خطاب، ط١، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، بدون ت.
١٥- أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٦، مكتبة الانجلو المصرية- مصر، ١٩٧٥م.
١٦- البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، بدون ط، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٧- البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي: د. على جمعة، ط١، الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٨- تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م.
١٩- التجديد في الفكر الإسلامي: د. أحمد حمدي زقزوق، بدون ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون ت.
٢٠- التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، بدون ط، دار سحنون- تونس، ١٩٩٧م.
٢١- تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، بدون ط، العدد (١٢١) ١٤٢٤هـ.
٢٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بدون ط، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ت.
٢٣- تفسير التاريخ علم إسلامي د. عبدالحليم عويس، بدون ط، دار الصحوة- القاهرة، بدون ت.

٢٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا، بدون ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٥- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٧- جدد حياتك: لمحمد الغزالي، ط١، دار نهضة مصر، بدون ت.

٢٨- حقيقة القومية: محمد الغزالي، بدون ط، نهضة مصر، بدون ت.

٢٩- الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة: فادي إسماعيل بدون ط، الوفاء، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٠- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها: د. رؤوف شلبي، ط٣، دار القلم، دمشق، بدون ت.

٣١- الدعوة إلى الله في القرن الحالي: محمد الغزالي، بدون ط، دار الشروق، بدون ت.

٣٢- دليل الداعية: ناجي بن دايل السلطان، ط١، دار طيبة الخضراء، بدون ت.

٣٣- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه/ أحمد أمين وآخرون، ط٢، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٧م.

٣٤- ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة من قصيدة له بعنوان جواب الشكوى: إعداد/ سيد عبد الماجد الغوري، ترجمة الصاوي شعلان، بدون ط، دار ابن كثير، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٥- الرسالة: الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مكتبه الحلبي- مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م

٣٦- سر تأخر العرب والمسلمين: محمد الغزالي، بدون ط، دار نهضة مصر، بدون ت.

٣٧- سنن أبو داود تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٨- سنن الترمذي: تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم- دمشق، ١٤١٢هـ.
٣٩- شرح الكوكب المنير: لأبي البقاء تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي وآخرين، ط٢، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٤٠- الشوقيات: لأحمد شوقي، بدون ط، مؤسسة هنداوي- القاهرة، بدون ت.
٤١- الشيخ البقاعي ومنهاجه في بلاغة القرآنِ: لمحمود توفيق سعيد ط١، مكتبة وهبة- القاهرة، بدون ت.
٤٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين- بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤٣- صراع مع الملاحدة حتى العظم: لابن حبنكة، ط٥، دار القلم- دمشق، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.
٤٤- ضرورة التجديد الحدود والضوابط الشيخ إبراهيم صالح الحسيني بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٤٥- ضرورة التجديد د. أحمد الطيب بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٤٦- ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي: خالد عبد الله الشعيب، بدون ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بدون ت.
٤٧- ظلام من الغرب: محمد الغزالي، بدون ط، دار نهضة مصر، بدون ت.
٤٨- عوائق النهضة الإسلامية: د. على عزت بيجوفيتش، ترجمة/ حسين عمر سباهيتش، ط١، جمعية قطر الخيرية- الدوحة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤٩- عين المعبود شرح سنن أبي داوود: لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ.
٥٠- الغزو الفكري أهدافه ووسائله: د. عبدالصبور مرزوق، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، بدون ت.

٥١- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: د. علي عبدالحليم محمود، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٦هـ، طبع إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥٢- الفتاوى الفقهية الكبرى الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي جمعها/ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، بدون ط،المكتبة الإسلامية، بدون ت.

٥٣- الفتاوى الكبرى: لابن تيمية، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٥٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، الشافعي، بدون ط، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط١، دار ابن كثير- بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٦- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق: لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: خليل المنصور، بدون ط، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٥٧- الفصول في الأصول الإمام: أحمد بن علي الرازي الجصاص تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، ط١، وزارة الأوقاف- الكويت، ١٩٨٨م.

٥٨- الفقيه و المتفقه: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، ط٢، دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤٢١هـ.

٥٩- الفقيه والمعمار دراسة حول أثر الفقه في العمران الإسلامي في مصر د. محمد على عبدالحفيظ، بدون ط، مجمع البحوث الإسلامية ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

٦٠- الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة: د/ يحيى هاشم حسن فرغل، بدون ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ١٣٥٦هـ.

٦٢- قذائف الحق: لمحمد الغزالي، بدون ط، المكتبة العصرية- بيروت، بدون ت.

٦٣- قول في التجديد: د. حسن الشافعي، بدون ط، مكتبة ذخائر الوراقين- القاهرة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٦٤- كتاب العلم: لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي – بيروت، بدون ت.

٦٥- كيف نجدد رسالة الإسلام: لمحمد المكي الناصري، بدون ط، مكتبة فضالة المحمدية- المغرب، ٢٠٠١م.

٦٦- كيف نفهم الإسلام: د. محمد الغزالي، نهضة مصر، بدون ت.

٦٧- مختار الصحاح: لأبي بكر محمد بن عبدالقادر الرازي تحقيق: محمود خاطر، بدون ط، مكتبة لبنان – بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن الجوزي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٦٩- المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية د. على جمعة محمد عبد الوهاب، ط٢، دار السلام- القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧٠- المدخل إلي علم الدعوة: لأبي الفتح البيانوني، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٧١- مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحضارة الغربية د. محمد عمارة بحث منشور في كتاب مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧٢- المسلمون في مفترق الطرق: د. محمود حمدي زقزوق، ط٢، مطبعة الحكماء- مصر، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

٧٣- مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس: عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق: د. عبدالرحيم عبد الرحيم، ط١، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

٧٤- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: لمحمد الغزالي، ط١، دار نهضة مصر، بدون ت.

٧٥- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٦- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، بدون ط، دار الدعوة.

٧٧- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بدون ط، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٧٨- معركة المصحف في العالم الإسلامي: محمد الغزالي، ط٥، دار نهضة مصر، ٢٠٠٥م

٧٩- مفاتيح الغيب: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي مع تعليقات ملا علي نوري، تحقيق: محمد خواجوي مؤسسة مطالعات، بدون ط، تحقيقات فرنكي، بدون ت.

٨٠- مفاتيح الغيب: لفخر الدين الرازي، بدون ط، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: لابن الجوزي، بدون ط، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ت.

٨٢- مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد، ط١، دار الدعوة- الكويت، ١٩٨٤م.

٨٣- مقالات في التجديد تصدير – الإمام الأكبر: د. أحمد الطيب منشورات مجلس حكماء المسلمين، ط١، دار القدس العربي- القاهرة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٨٤- مقدمة ابن خلدون العلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: تحقيق: د. على عبد الواحد وافي، بدون ط- مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م.

٨٥- الملحة في اعتقاد أهل الحق: للعز بن عبدالسلام، ط١، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر- بيروت، ١٤٢هـ/ ١٩٩٥م.

٨٦- الملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق: محمد فريد، ط١، المكتبة التوفيقية- القاهرة، بدون ت.

٨٧- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٨- الموافقات: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان الطبعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٨٩- الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، بدون ط، ١٤٢٧هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١١٣٥
الملخص باللغة الإنجليزية	١١٣٧
المقدمة	١١٣٩
التمهيد: ويشمل التعريف بمصطلحات البحث، وتشتمل على: ...	١١٤١
مفهوم التجديد في اللغة والاصطلاح، مفهوم الخطاب الدعوي ...	١١٤١
تعريف الدعوة الإسلامية	١١٥٠
مفهوم العوائق والدوافع، والضوابط	١١٥٢
المبحث الأول: عوائق تجديد الخطاب الدعوي	١١٥٤
• **المطلب الأول:** العوائق المتعلقة بفهم نصوص الوحي	١١٥٤
• **المطلب الثاني:** العوائق المتعلقة بالواقع الدعوي	١١٧١
المبحث الثاني: تجديد الخطاب الدعوي بين الدوافع والضوابط ..	١٢٠٤
• **المطلب الأول:** دوافع تجديد الخطاب الدعوي	١٢٠٤
• **المطلب الثاني:** ضوابط تجديد الخطاب الدعوي	١٢١٣
الخاتمة	١٢٢٣
ثبت بأهم المصادر والمراجع	١٢٢٥
فهرس الموضوعات	١٢٣٢